

المحور الأول: التحليل العلمي للسان

الفرع الأول: مستوى الأصوات

توطئة:

الأصوات اللغوية هي اللبن التي تبنى منها الكلمة، التي بدورها تدخل في تشييد تركيب الجملة، والجمل هي اللبن التي تشيّد الكلام المفيد، فالأصوات هي أصل مادة الكلام، وهي الأساس الذي يقوم عليه صرح بناء اللغة.

ولعلّ أفضل تعريف استطاع أن يجمع بين الطبيعة الصوتية وبين الوظيفة الاجتماعية للغة هو ذلك التعريف الذي جاء به "ابن جني" حينما قال: «حدّ اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»⁽¹⁾.

يقول "محمود فهمي حجازي" معقبا على هذا التعريف: «إنّ ابن جنيّ في هذا التعريف قد ضمّن العناصر الأساسية لتعريف اللغة، ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضّح الطبيعة الصوتية للغة، ويؤكد أنّ اللغة أصوات، وبهذا استبعد الخطأ الشائع الذي يتوهّم أنّ اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة، إذن فهذا التعريف وضّح طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر»⁽²⁾.

وفعلا فإنّ هذا التعريف الذي أعطاه "ابن جني" للغة على الرغم من إيجازه، إلّا أنّه قد تضمّن معنى شامل للغة، حيث حدّد فيه صاحبه طبيعة اللغة والمتمثّلة في الأصوات، وفي ذلك إشارة إلى "البعد الفيزيائي" للغة، كما حدّد فيه "البعد النفسي" لها والمتمثّل في التعبير، وأشار فيه كذلك إلى حقيقة دور اللغة في المجتمع، وهو التعبير من خلال التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وهي وظيفة اجتماعية تختلف تبعا لاختلاف المجتمع وتتأثّر بظروفه وتواكب حركته في الحياة، وفي ذلك إشارة إلى "البعد الاجتماعي" (اللغة مؤسسة أو ظاهرة اجتماعية)، ويتّضح ذلك جليا من خلال عبارة "كلّ قوم"، وكذا إلى "البعد الوظيفي" (التواصل والتفاهم) للغة، ويتّضح ذلك من خلال عبارة "أغراضهم".

لقد قسّم العلماء "اللغة" إلى أربعة مستويات هي: مستوى الأصوات، وهو الفرع الذي يدرس أصوات اللغة، ويشمل كلا النوعين المعروفين باسم "علم الأصوات العام"، و"علم الفونيمات"، ومستوى الصرف أو مستوى دراسة الصيغ اللغوية وبخاصة تلك التغيّرات التي تعترى صيغ الكلمات فتحدث معنى جديدا كالسوابق واللواحق والدواخل مثلا، بعده يأتي مستوى النحو والذي يختصّ بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية مثل: نظام الجملة: ضرب محمدٌ عليّا، والتي تفيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معيّن أنّ محمد هو الضارب وعليّا هو المضروب، ومستوى المفردات، الذي يختصّ بدراسة الكلمات المفردة، ومعرفة أصولها وتطوّرها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمّى بـ "الاشتقاق"، وهو يختصّ بدراسة تاريخ الكلمات، وفرع آخر يسمّى "الدلالة" ويختصّ بدراسة معاني الكلمات، وهناك فرع ثالث يسمّى "المعجم" وهو

(1) - أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ / 2003م، ص 87.

(2) - محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، دس، ص 10.

فن عمل المعاجم اللغوية، ويستمدّ وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، يضاف إلى اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبر فيه، وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة العصر الحديث⁽¹⁾.

وهذه الجوانب تتعاون معا في تشكيل اللغة، فلا يمكن الفصل بينها، لأنّ كلّ جانب يساهم في المستوى الذي يختصّ به الآخر، فمن الصعب الفصل بين الأصوات والصيغ الصرفية؛ لأنّ هذه الصيغ - في أصلها - من وحدات صوتية، ويوجد تبادل مطّرد بين الصرف والنحو، وكذلك توجد علاقة قوية بين الصرف وبين معاني الكلمات. والأصوات تدخل في بنية هذه الأنظمة جميعها.

- مفهوم علم الأصوات وموضوعه:

1 - مفهوم علم الأصوات:

يعرّفه "محمد علي الخولي" بقوله: «هو فرع من علم اللغة، يبحث في نطق الأصوات اللغوية وانتقالها وإدراكها، ويدعوه البعض الصوتيات، أو علم الصوتيات، وعلم الأصوات ذاته له فروع عديدة، مثل: علم الأصوات البحث وعلم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات الوصفي وعلم الأصوات التاريخي وعلم الأصوات العام وعلم الأصوات الخاص، وعلم الأصوات المعياري وعلم الأصوات القطعية وعلم الأصوات الفوقطعية وعلم الأصوات النطقي وعلم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات المقارن وعلم الأصوات الوظيفي»⁽²⁾.

يبيّن لنا "محمد علي الخولي" من خلال هذا التعريف: المراحل التي يمرّ بها إنتاج الصوت باعتباره موضوعا لعلم الأصوات، كما يذكر لنا التسميات المختلفة لهذا العلم، وأهم فروعها العامة والخاصة، والتي سيتمّ التفصيل في أهمّها فيما سيأتي إن شاء الله من هذا البحث.

وفي تعريف آخر لـ "علم الأصوات": «هو العلم الذي يهتمّ بدراسة حروف اللغة العربية على أنّها أصوات، فيبحث في مخرجها وصفاتها وقوانين تبدّلها وتطوّرها والتثامها مع غيرها من الحروف، واختلافها عن بعض الحروف الأخرى»⁽³⁾.

يحدّد هذا التعريف موضوع العلم وكذا الوظيفة التي يؤديها، مع الإشارة إلى مسألة ائتلاف أو تنافر الأصوات أثناء مجاورتها لبعضها البعض.

2 - موضوع علم الأصوات:

موضوع علم الأصوات هو الوحدات الصوتية الصغرى في الكلام، فالوحدة الكبرى في المجموعة الكلامية هي "الجملة" مثل: محمد في الجامعة، حيث تتركب هذه الجملة من وحدات أصغر منها تسمّى: "الكلمات" وهي هنا: "محمد"، "في" و"البيت"، وهي

(1) - ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دب، دط، دس، صص 43، 44.

(2) - محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، دب، ط1، 1402هـ / 1982م، ص112.

(3) - منال عصام إبراهيم برهم: دراسة في اللغة العربية نماذج وأسئلة محلولة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ / 2009م، ص15.

بدورها تتركب من وحدات أصغر منها، هي ما يطلق عليها اسم "الأصوات" فكلمة "مُحمَّد" مثلا مكونة من وحدات صوتية أصغر من وحدة الكلمة وهي: صوت الميم ثم صوت الضمة، ثم

صوت الحاء ثم صوت الفتحة، ثم صوت الميم ثم صوت الفتحة، ثم صوت الدال يليه صوت الضمة وقس على ذلك مع بقية الكلمات.

وهذه الوحدات الصوتية هي موضوع "علم الأصوات" - كما أسلفنا - هذا العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية من ناحية «وصف مخارجها وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة التي يتميز بها صوت عن صوت آخر، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثر بعضها ببعض عند تركيبها في الكلمات أو الجمل»⁽¹⁾.

أما عن اللغة التي يدرسها هذا العلم فهي «اللغة الحية المنطوقة، أو لغة الخطاب اليومي، أو اللغة التي نستطيع أن نتعرف منها على مظاهرها الصوتية، واللغة المكتوبة لا نستطيع أن نتعرف من خطها على كل سماتها الصوتية»⁽²⁾.

فعلم الأصوات يهتم أساسا بالكلام المنطوق دون المكتوب، باعتباره الوسيلة الأولى لتحقيق التواصل بين البشر، وهنا يفترق هذا العلم عن بقية العلوم اللغوية الأخرى باعتباره فرعاً من فروع علم اللغة، فهو بدراسته للغة المنطوقة إنما هو في ذلك يصبّ كل اهتمامه بالتعبير اللغوي دون المضمون؛ لأنّ اللغة المكتوبة قاصرة على إبراز خصائصها الصوتية بمجرد تمثيلها الخطّي.

يتّضح ممّا سبق أنّ موضوع علم الأصوات هو دراسة الصوت سواء أكان لغوياً أم غير لغوي، وقبل الوقوف على مصدر الصوت ونشأته، لا بدّ أولاً من التعرف على مفهوم الصوت، وعلى الفرق بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، وكذا الفرق بين الصوت والحرف.

- بين الصوت وبين الحرف

1 - مفهوم الصوت:

أ/ لغة:

جاء في "لسان العرب" في تفسير مادة "صَوْتُ" باب التاء فصل الصاد: «الصَوْتُ: الجَرْسُ (...) والجمع أصوات، وقد صَاتَ يَصُوتُ ويُصَاتُ صَوْتًا، وَأَصَاتَ وَصَوَّتَ به: كَلَّه نَادَى (...)، ويقال: صَاتَ يَصُوتُ صوتًا فهو صَائِتٌ معناه: ضائع (...)، وفي الحديث كان "العبّاس" رجلاً صَيِّتًا: أي شديد الصوت (...) وَأَصَاتَ القوس: جعلها تصوت (...) والصَيِّتُ: الذَكْرُ...»⁽³⁾. فالصوت في اللغة يطلق على كلّ شيء له ذبذبة، أو يصدر حركة صوتية، سواء أكان متحرّكاً أم جامداً حال تحريكه.

(1) - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 13.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة (دراسة في الأصوات ومخارجها وصفاتها وتمثيلها)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1 1426هـ / 2005م، ص 9.

(3) - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، مج 1، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1426هـ / 2005م، مادة "صَوْتُ".

ب/ اصطلاحا:

يعرفه "ابن جني" فيقول: «اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متّصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين، مقاطع تشنية عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»⁽¹⁾.
فـ"ابن جني" في هذا التعريف يقدّم لنا مفهوما للصوت، وفي الوقت ذاته يفرّق بينه وبين الحرف، وفي الحقيقة إنّ هذا التعريف هو تعريف عام، يشترك فيه الإنسان الناطق والحيوان الأعجم؛ لأنّ الاثنين يملكان هذه الأعضاء التي ذكرها "ابن جني" في التعريف السابق.

إذن فالصوت عند "ابن جني" هو عبارة عن النفس الصاعد من الرئتين باتجاه الفم المتّصل والمرتبط، فأينما وجد عائقا انفصل عن بعضه وامتنع - حينها - امتداده واستطالته، وسمّي حرفا، والنفس المرتبط يختلف جرسه باختلاف العائق الذي يعترض مسلكه؛ فإن كان الحاجز على مستوى الحلق سمّي حرفا حلقيا، وإن كان على مستوى الشفتين كان شفويا، وقس على ذلك مع بقية الأعضاء المتحكّمة في النطق.

يلاحظ كذلك من خلال التعريف السابق "لابن جني" أنّه قد اعتبر المقطع مرادفا للحرف، وهذا بخلاف سابقه الذين جعلوا المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف ذاته، فأينما انقطع النفس فثمة موضع النطق، فـ"الخليل" - مثلا - من الذين أطلقوا على المخرج مصطلح المقطع، فضلا عن تسميات أخرى على غرار: المجرى، الحبس والمدرج... فتسمية "ابن جني" بهذا لا تستقيم إلّا على ضرب من المجاز.

ومن اللغويين المحدثين الذين عرّفوا الصوت: "تمام حسّان"، حيث نجده يقول: «... فالصوت عملية يقوم بها الجهاز النطقي، وتصحبها آثار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت، وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن...»⁽²⁾.

ويتفق "عبد القادر عبد الجليل" مع "تمام حسّان" في تعريفه للصوت إلى حدّ ما، حيث نجده يقول: «الصوت هو الطاقة المنقولة عبر الوسط الهوائي إلى أسمعنا وأحاسيسنا، حاملة صورة الحرف إلى أذهاننا عبر ذبذباته الصوتية»⁽³⁾.
فكلا التعريفين السابقين اشتملا على العناصر الضرورية، والتي بموجبها تتم العملية الصوتية، وهي: "مصدر الصوت" والمتمثّل في الجهاز النطقي، أو الطاقة المنقولة، إضافة إلى "انتشار الصوت" والمتمثّل في الوسط الهوائي الناقل للصوت من مصدر الإنتاج والإرسال إلى مركز الاستقبال، أمّا العنصر الثالث فهو: "إدراك الصوت" من خلال العملية السمعية.

(1) - أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، تح: حسن هنداي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ / 1993م، ص6.

(2) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1418هـ / 1998م، ص66.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 114.

وهناك تعريف آخر للصوت تجتمع فيه هذه العناصر الثلاثة، غير أنه يعبر عن الصوت بمفهومه العام، فيشمل بهذا الصوت اللغوي والصوت غير اللغوي وفحواه: «الصوت هو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا»⁽¹⁾.

فكل ما يمكن أن يصدر ذبذبة صوتية في الطبيعة يسمى "صوتا". غير أن السؤال المطروح هو: متى يمكن أن نقول عن الصوت بأنه لغوي؟.

ج/ الصوت اللغوي:

إذا أردنا أن نعرف الصوت اللغوي فإننا نقول بأنه: «إدراك سمعي ناتج من تذبذب جزئيات الهواء الملامس للأذن بسبب حركات الجهاز النطقي»⁽²⁾.

غير أن هذا التعريف يكون صحيحا عندما يكون المقصود بإصدار الصوت إرسال رسالة؛ أي أن يقف وراء الصوت وعى به، و قصديّة فيه.

ولقد اشتمل المفهوم السابق للصوت اللغوي على ثلاثة عناصر متكاملة لوقوع الحدث الكلامي وهي⁽³⁾:

1 - حركات الجهاز النطقي: وفاعلها "المتكلم"، وتمثل "مصدر الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات النطقي".

2 - الهواء: وهو الوسط بين المتكلم والسامع، ويمثل "انتشار الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات الأكوستيكي".

3 - الإدراك السمعي: وفاعله "السامع"، ويمثل "إدراك الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات السمعي".

وفي تعريف آخر "للصوت اللغوي" هو: «أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن أعضاء النطق، وهذا الأثر عبارة عن ذبذبات تصاحبها حركات الفم بأعضائه المختلفة، تصل إلى أذن السامع فتحدث فيه تأثيرا معينا»⁽⁴⁾.

ويُعرف كذلك بأنه: «الحركات النطقية ملونة بألوانها الخاصة، فهو بهذا المعنى ذو جانبين: أحدهما عضوي والآخر صوتي، أو بعبارة أخرى: أحدهما حركي والثاني تنفسي»⁽¹⁾.

(1) - سميح أبو مغلي وآخرون: دروس في علوم العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ / 2000م، ص19.

(2) - خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2006م، ص14.

(3) - المرجع نفسه، ص15.

(4) - مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005م، ص25.

فجميع التعريفات السابقة "للصوت اللغوي" تصبّ في قالب واحد؛ ذلك أنّ ليس كلّ ما يصدر عن الإنسان من أصوات يصلح أن نطلق عليها بأنّها أصوات لغوية، إنّما الصوت اللغوي هو الذي يحمل معنى أو دلالة معيّنة، يعبر بها الإنسان عمّا يختلجه من أفكار وأحاسيس، ممّا يعني أنّ الصوت اللغوي لا يتألف من عملية عضوية جسمية فقط - كما أشارت التعريفات السابقة - بل يتألف أيضا من عملية نفسية إدراكية (عقلية)، وعلى هذا الأساس فإنّ عملية إصدار الصوت اللغوي في الحقيقة تتمّ بمراحل كما أشار إلى ذلك التعريف الأوّل، بداية من المرسل مرورا بالوسط الهوائي، ووصولاً إلى المتلقي المستقبل لرسالة المرسل، لتعود العملية عكسية من المستمع إلى المتكلّم. إذن فالصوت اللغوي ينطلق من الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلّم قبل الكلام أو أثناءه، تليها عملية إصدار الكلام والمتمثّل في أصوات ينتجها جهاز النطق، لتنتقل بعد ذلك الموجات والذبذبات الصوتية عبر الوسط الهوائي من فم المتكلّم إلى أذن المستمع، لتتشكّل بعدها الأحداث النفسية والعمليات الإدراكية في ذهن المستمع أثناء استقباله لتلك الموجات الصوتية.

وهناك تعريف آخر للصوت اللغوي يقترب بعض الشيء لما جاء في التعريفات السابقة، غير أنّه يضيف لنا شيئا لم تتعرض إليه بقية التعريفات، وهذا هو نصّه: «هو أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التحليل اللغوي، ولا يمكن النطق بها إلّا من خلال مقطع يكون فيه الصامت مصحوبا بالصائت، أو الصائت مصحوبا بالصامت»⁽²⁾. وفي هذا التعريف إشارة صريحة إلى أنّ الصوت اللغوي لا يكون أصغر من المقطع، وإنّما يكون كحدّ أدنى "أقلّ أشكاله"؛ أي أنّ الصوت اللغوي لا يتشكّل من صامت فحسب أو صائت، وإنّما هما معا.

2 - مفهوم الحرف:

أ/ لغة:

ورد في تفسير مادة "حَرْفٌ": «الحَرْفُ من كلّ شيء: طرفه وشفيئُهُ وحدُّهُ، ومن الجبل: أعلاه المحدّد (...) وحَرْفٌ لعياله يَحْرِفُ: كَسَبَ، والشَّيْءُ عن وجهه: صَرْفُهُ، وَعَيْنُهُ حَرْفُهُ: كَحَلْهَا (...)»، وحَرْفٌ في ماله بالضمّ حَرْفُهُ: ذهب منه شيء، والحَرْفُ بالضمّ: حُبُّ الرِّشَادِ (...) وأَحْرَفَ: نما ماله (...)»⁽³⁾.

إذن فالحرف من كلّ شيء: طرفه، غايته، ذروته وحدّه.

ب/ اصطلاحا:

يقدم "ابن جني" في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" تعريفا اصطلاحيا للحرف، يقترب فيه إلى حدّ بعيد من المعنى اللغوي، وفيه يقول: «الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه»⁽⁴⁾.

(1) - سميح أبو مغلي: دروس في علوم العربية، ص19.

(2) - صبري المتولي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، دط، 1429هـ / 2008م، ص43.

(3) - مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ / 2007م، مادة "حَرْفٌ".

ولعلّ أبرز وأهمّ تعريف أُعطي للحرف، هو ذلك التعريف الذي جاء به "ابن سينا" في رسالته: "أسباب حدوث الحروف"، وفيه يقول: «...والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميّزا في المسموع»⁽²⁾.

وقد انتقد "ابن سينا" في هذا التعريف الكثير من الدارسين والباحثين، وقالوا بأنّ التعريف السابق يُطل طردا وعكسا، أمّا الطرد فلأنّ هناك هيئات عارضة للصوت يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميّزا في المسموع، مع أنّه ليس شيء منها بحرف، وتلك الهيئات: طول الصوت وقصره وكونه مجهورا أو خفيا أو...، وكذا كيفيات أخرى بها يميّز الإنسان صوت شخص من صوت شخص آخر، وأمّا العكس فهو أنّ الحروف الصامتة البسيطة كالباء والتاء والذال والطاء آنية لا توجد إلّا في الآن - الذي هو بداية زمان الصوت - فلا تكون هيئات عارضة للصوت؛ لأنّها لو كانت كذلك لما وجدت إلّا مع وجوده، لكن هذه الحروف لا توجد مع وجود الصوت؛ لأنّها إنّما توجد في الآن الذي هو آخر زمان حبس النفس، وأوّل زمان إطلاقه، والصوت لا يوجد إلّا في زمان إرسال النفس، فإذا هذه الحروف موجودة قبل وجود الصوت، فلا يمكن أن يقال: إنّها هيئات عارضة للصوت.

ومن اللغويين المحدثين الذين تحدّثوا عن الحرف "تمام حسّان"، حيث يعرفه بقوله: «...أمّا الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معيّن، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية»⁽³⁾.

وهذا التعريف يشير إلى طبيعة الحرف على أنّه مكتوب؛ لأنّه حينما يقول بأنّ الحرف ليس عملية عضلية، فإنّه بهذا ينفي النطق، فضلا عن كونه ذا طابع ذهني معنوي، فعندما يقول بأنّ الحرف فكرة عقلية، فهو هنا يستبعد الجانب المادي للحرف.

أمّا عن عدد حروف العربية ففي ذلك يقول الإمام "الشيرازي": «وَحُرُوفُ الْمَعْجَمِ عِنْدَ جَمِيعِ النُّحَوِيِّينَ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا، إِلَّا عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُبَرِّدِ، فَإِنَّهَا عِنْدَهُ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعِدُّ الهمزة حَرْفًا مِنْهَا، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الهمزة لَيْسَ لَهَا صُورَةٌ، لِأَنَّهَا لَا تَثْبُتُ عَلَى صِفَةٍ، فَإِنَّهَا تَخَفَّفُ تَارَةً بِالْحَذْفِ وَتَارَةً بِالْقَلْبِ، وَتَارَةً بِالتَّلِينِ»⁽⁴⁾. وفي هذا يقول "المبرّد": «اعلم أنّ الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدلّ عليها في الخطّ بالعلامات، فأما في المشافهة فموجودة»⁽⁵⁾.

(1) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 14.

(2) - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمّد حسّان الطيّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، سوريا، دط، دس، ص 60.

(3) - تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 4، 1421هـ / 2001م، ص 129.

(4) - نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي (ابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج 1، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ / 1987م، ص 162.

(5) - أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد: المقتضب، ج 1، تح: محمّد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ / 1994م، ص 328.

إذن فاللغويون الذين جعلوا حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، فإنهم قد اعتبروا الألف حرفاً والهمزة حرفاً آخر غير الألف، أما من جعلها ثمانية وعشرون حرفاً فإنه قد أسقط الهمزة واكتفى بالألف بحجة أنها قابلة للحذف والقلب والتخفيف، سواء عن طريق الإبدال أو النقل، أو بواسطة الإسقاط التام وغيرها من وسائل تخفيف الهمز.

بعد هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها، يمكن لنا أن نتساءل فنقول: ما هي أبرز الفروق بين الصوت وبين الحرف؟. أهما شيء واحد، أم بينهما اختلاف؟.

3 - الفرق بين الصوت وبين الحرف:

في إطار تمييزه بين الصوت والحرف، أقام "تمام حسّان" موازنة توصّل من خلالها إلى عقد علاقة تجمع بين الطلاب والصفوف وبين الصوت باعتباره مفهوماً مادياً قابل للملاحظة والتجربة (يمكن ملامسته)، وبين رمزه الكتابي (الحرف) باعتباره مفهوماً ذهنياً معنوياً؛ فالعلاقة التي تربط الطالب بالصف - عنده - هي نفسها التي تربط الصوت بالحرف، فالطالب والصوت حقيقتان ماديتان، والصف والحرف حقيقتان ذهنيّتان. ونجده يضيف قائلاً في باب تمييزه بين الصوت وبين الحرف: «الصوت جزء من تحليل الكلام، والحرف جزء من تحليل اللغة»⁽¹⁾.

ويختصر "طالب محمد إسماعيل" هذا الفرق في قوله: «الصوت هو الذي نسمعه ونحسّه، بينما الحرف هو الصورة المكتوبة التي عدّت صورة نطقية»⁽²⁾.

ويعود "تمام حسّان" مرّة أخرى ليؤكد بأنّ الصوت هو الصورة المنطوقة، وأنّ الحرف هو الرمز المكتوب لها قائلاً: «... وإذا كان الصوت ممّا يوجده المتكلّم، فإنّ الحرف ممّا يوجده الباحث»⁽³⁾.

- مصدر الصوت ونشأته

1 - مصدر الصوت:

إنّ "مصدر الصوت" من المواضيع التي شغلت فكر العلماء قديمهم ومحدثهم، ولعلّ أهمّ من تحدّث عن مصدر الصوت من القدماء: الرئيس الطبيب والفيلسوف "ابن سينا" وفي هذا يقول: «أظنّ أنّ الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة، وبقوّة من أيّ سبب كان»⁽⁴⁾.

(1) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص74.

(2) - طالب محمد إسماعيل: مقدّمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص95.

(3) - تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص129.

(4) - ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص57.

أشار "ابن سينا" من خلال هذا القول إلى مصدر أو سبب حدوث الصوت، ويتجلى ذلك واضحا من خلال عبارة "من أيّ سبب كان"؛ ذلك أنّ انتشار الصوت من الفم من شأنه أن يسبّب تذبذبا في الوسط الهوائي، وهذا ما عبّر عنه "ابن سينا" في القول السابق بـ "تموّج الهواء".

كما نجد "ابن سينا" في موضع آخر من رسالته: "أسباب حدوث الحروف" يجعل لمصدر الصوت سببين رئيسين، وفي ذلك يقول: «...وللتموّج علّتان: قرع وقلع؛ فالقرع وهو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريبا، تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوّتها، والقلع وهو تباعد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر، تبعيّدا ينقلع عن مماسه انقلعا عنيفا لسرعة حركة التباعد»⁽¹⁾.

يتبيّن لنا من خلال هذا الكلام أنّ مصدر الصوت - حسب ابن سينا - يكون على نوعين، فإمّا أن يكون قرعا: ولا يحدث ذلك إلّا في حالة التقارب الشديد بين المواد، أو بين جسمين متلازمين، إمّا عن طريق الاصطدام أو عن طريق الاحتكاك، أو قلعا ولا يحدث ذلك إلّا في حالة التباعد التي من شأنها أن تفرّق وتقلع المواد تفريقا عنيفا، بسبب شدة التباعد بين الأجسام. ولئن كان حديث "ابن سينا" عموميا حول مصدر الصوت، فإنّنا نجد "أحمد مختار عمر" قد حدّد العضو النطقي، أو الأعضاء النطقية المسؤولة عن إنتاج الصوت وحدوثه، وفي هذا الصدد يقول: «مصدر الصوت هو أيّ شيء يسبّب اضطرابا أو تنوّعا ملائما في ضغط الهواء مثل: الشوكة الرنانة والوتر الممتدّ، وهو في أصوات اللغة أعضاء النطق، ولاسيما: الوترين الصوتيين التي تتحرّك في اتجاهات مختلفة، وبأشكال متعدّدة، وتنتج أصواتا تسبّب تنوعات في ضغط الهواء»⁽²⁾.

2 - نشأة الصوت:

يمرّ الصوت في نشأته بمراحل عديدة، يمكن إجمالها في أربع مراحل وهي: «مرحلة حدوثه أو إصداره، مرحلة انتقاله، مرحلة سماعه ومرحلة إدراكه»⁽³⁾.

انطلاقا من هذا القول وبالعودة إلى تعريفات الصوت السابقة الذكر، يمكننا أن نختزل هذه المراحل الأربعة التي يمرّ بها الصوت - لغوي كان أم غير لغوي - إلى ثلاثة مراحل: فمصدر الصوت (المرسل) تقابله مرحلة الحدوث والإصدار، والوسط الهوائي الذي ينتقل بموجبه الصوت من فم المتكلّم إلى أذن المستمع، يقابله مرحلة الانتقال، أمّا مركز الاستقبال (المرسل إليه)، فتقابله مرحلة الاستماع والإدراك معا؛ أين تتحقّق الدلالة الصوتية، فيتحوّل الصوت العادي الطبيعي (الخالي من المعنى) إلى صوت لغوي.

- المصطلحات المتعلقة بعلم الأصوات:

(1) - ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 58.

(2) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1979م، ص 21.

(3) - أبو السعود أحمد الفخري: البحث اللغوي عند إخوان الصفاء، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1411هـ / 1991م، ص 83.

كثيرة هي المصطلحات المتعلقة بـ "علم الأصوات"، منها ما سبق لنا وأن أشرنا إليها لضرورة منهجية، كمفهوم الصوت والفرق بينه وبين الصوت اللغوي، وكذا مفهوم الحرف والفرق بينه وبين الصوت، ومنها ما سنتحدث عنها فيما سيأتي من البحث، أما هنا فسننظر إلى مصطلحي: الصوائت والصوامت، محاولين إبراز أهم الفروق القائمة بينهما بشكل موجز ومختصر.

* بين الصوامت وبين الصوائت:

تقسّم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات، ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكوّن الصوت في أعضاء النطق، فعند النطق يندفع هواء الزفير الصاعد من الرئتين بواسطة تأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدري، ويمضي هواء الزفير محاولا الخروج، فعند النطق بالصوامت: «يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء الزفير، وقد يكون هذا الاعتراض كاملا أو جزئيا، ففي كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا الاعتراض، ومن الطبيعي أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جدا ثم يزول، وتختلف الصوامت من ناحية النقطة التي يتم فيها الاعتراض؛ أي النقطة التي يصدر فيها الصوت»⁽¹⁾. وهذا ما أشار إليه - تماما - "ابن جني" في تعريفه السابق للصوت.

يُفهم من خلال هذا الكلام أنّ الصوامت هي تلك الأصوات التي تحتك أثناء خروجها من الجهاز الصوتي بأحد حواجزه العضوية (المخارج الصوتية)، فيؤدّي ذلك الاحتكاك إلى انسداد جزئي أو كلي مؤقت في موضع من الجهاز النطقي، وطبيعة هذا الانسداد وموضع الاعتراض هما اللذان يحدّدان مخرج وصفة الصوت المنطوق.

أما فيما يخصّ الصوائت، فإنّ عددها - في كل لغة - أقلّ عددا من الأصوات الصامتة، وتسمّى كذلك بالحركات، وفيها يقول "ابن جني": «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي: الفتحة والكسرة والضمة؛ فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدّموا النحويون يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة»⁽²⁾.

يتبنّ من خلال قول "ابن جني": أنّ الصوائت في اللسان العربي على قسمين:

1 - أصوات صائتة قصيرة وهي: الفتحة والضمة والكسرة.

2 - أصوات صائتة طويلة وهي: الألف والواو والياء.

ويضيف "ابن جني" قائلا: «الفتحة أوّل الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة»⁽³⁾. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما الذي يميّز الصوائت عن الصوامت في النظام اللغوي للعربية؟

(1) - محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 39.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 17.

(3) - المصدر نفسه، ص 53.

أثناء النطق بالحركات لا يحدث ذلك الاعتراض الذي نجده في نطق الصوامت، بل تتحدّد طبيعة الحركة عن طريق وضعية الشفتين واللسان وهما يشكّلان مجرى الهواء، على نحو يجعلنا نتميّر الحركة عن الأخرى «فالمضمّة العربية مثلا تنطق بأن تتخذ الشفتان وضع الاستدارة، وهي بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة، ففيهما تتخذ الشفتان وضع الانبساط، وتختلف الفتحة عن الكسرة - أيضا - في وضع اللسان داخل الفم، وعند النطق بالكسرة يكون في أعلى مستوى له في الفم، وهناك عدّة حركات تختلف باختلاف درجة ارتفاع اللسان في الفم، وباختلاف المنطقة التي يتمّ فيها هذا الارتفاع داخل الفم في مقدّمه أو في وسطه أو في آخره»⁽¹⁾.

إذن فالصوت الصائت هو صوت ممتدّ ومستمر، لا يوجد اعتراض أو حاجز يقطع مساره، فهو صوت يجري الهواء معه طليقا حرا مع تذبذب الوترين الصوتيين، وهذا ما عبّر عنه "ابن جني" حينما قال: «...فإن اتّسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمرّ الصوت ممتدا حتى ينفذ، فيفضي حسيّرا إلى مخرج همزة، فينقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد منقطعا فيما فوقها... والحروف التي اتّسعت مخرجها ثلاثة: الألف ثمّ الياء، ثمّ الواو»⁽²⁾.

ويلخص لنا "عبد الله القواسمة" أبرز الفروق الموجودة بين الصوامت وبين الصوائت في قوله: «تتمتاز الصوائت عن الصوامت بأنّها أقلّ عددا وأكثر وضوحا في السمع وأصعب نطقا ودراسة، ويبدو هذا عند غير الناطقين باللغة الأم، كما أنّه لا يوجد لأيّ صائت مكان نطق معيّن، ويكون مجهورا فقط»⁽³⁾.

وعليه فإنّ الأصوات الصامتة في العربية هي كلّ الأصوات بعد استبعاد حروف المدّ الثلاث (الألف، الواو والياء) والحركات الثلاث (الفتحة، الضمّة والكسرة)، ممّا يعني أنّ هذه الحروف الثلاث حينما تكون مسبقة بحركات أخرى غير مجانسة لها - مع عدم وجود بعض هذه الحالات في اللغة العربية - فهي من قبيل الصوامت لا الصوائت.

- فروع علم الأصوات

لعلم الأصوات فروع كثيرة ومتعدّدة، بل إنّ لهذه الفروع نفسها فروعاً أخرى تنطوي تحتها، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نتميّر لعلم الأصوات بين نوعين من الفروع حدّد أبرزها "محمد علي الخولي" في معجمه "علم الأصوات" في التعريف السابق الذكر لهذا العلم، وبناء على هذا الكلام فإنّ لعلم الأصوات فروعاً عامّة وأخرى خاصّة، وتتمثّل الفروع العامة لعلم الأصوات في: علم الأصوات العام (الفونيتيك)، وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا).

* بين الفونيتيك والفونولوجيا:

لقد لقي مصطلح الفونيتيك ومصطلح الفونولوجيا جدلا كبيرا بين اللغويين الغربيين منهم والعرب: على مستوى المفهوم وكذا على مستوى العلاقة التي تجمع المصطلحين، وقبل الخوض في هذه الإشكالية لابدّ أولا من الوقوف على مفهوم هذين المصطلحين،

(1) - محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 40.

(2) - ينظر ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، صص 7، 8.

(3) - محمد عبد الله القواسمة: معالم في اللغة العربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمان، الأردن، ط 2، 1424هـ / 2003م، ص 17.

والذي لقي قبولا من معظم الدارسين واللغويين:

يعرّف "حلمي خليل" هذين العلمين فيقول: «الأول أي الفونيتيك، يدرس أصوات اللغة معزولة بعيدة عن البنية اللغوية، فيحدّد طبيعة الصوت اللغوي، مصدره، مواضع النطق به وصفاته المختلفة المصاحبة له، وأمّا الثاني - ويقصد الفونولوجيا - فيدرس الصوت اللغوي داخل البنية؛ أي يهتمّ هذا العلم بوظيفة الصوت وتوزيعه وعلاقة ذلك بالمعنى»⁽¹⁾.

وباختصار شديد يمكن أن نتميّز بين علم الأصوات العام (الفونيتيك) وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) بأنّ الأول يختصّ بدراسة الصوت المفرد، البسيط المستقل والمنعزل عن التركيب أو السياق الكلامي، بهدف رصد الخصائص الفيزيائية والفسولوجية (العضوية) المتعلقة بالأصوات، أمّا الآخر وهو الفرع الثاني من علم الأصوات: فيهتمّ بدراسة الصوت اللغوي داخل السياق الكلامي (في بنية الكلمة)، أو بعبارة أخرى هو العلم الذي يدرس وظائف الأصوات ودورها في تغيير المعنى سواء على المستوى الصرّي أم النحوي أم الدلالي أم المعجمي، من خلال دراسة "الفونيم" و"المقطع الصوتي" و"النبر" و"التنغيم" وغيرها من التنوعات الصوتية الأخرى.

هذا بالنسبة إلى مفهوم "الفونيتيك" و"الفونولوجيا"، أمّا فيما يخصّ علاقة أحدهما بالآخر، فقد تعدّدت الآراء وتضاربت المواقف في شأن طبيعة العلاقة القائمة بين العلمين، فـ "فريدرياند دي سوسير" مثلاً من أكبر الدعاة إلى ضرورة الفصل بين العلمين لكونهما - حسب رأيه - علمين متعارضين، وفي هذا المجال يقول: «إنّ علم الفونيتيك أوّل ما استخدم للدلالة على دراسة تطور الأصوات، وينبغي أن يبقى ضمن هذا المفهوم، فلا يجوز المزج بين علمين متميّزين باستخدام تسمية واحدة لكليهما. إنّ "الفونيتيك" علم تاريخي، يحلّل الأحداث والتغيّرات ويتحرّك من خلال الزمن، أمّا "فونولوجي" فيقع خارج الزمن، لأنّ عملية النطق لا تتغيّر أبداً، فالدراستان متميّزتان ولكنهما تتعارضان. إنّ علم الصوت (فونيتيك) جزء أساس من علم اللغة، أمّا النظام الصوتي (فونولوجي) فهو علم مساعد يختصّ بالكلام فقط»⁽²⁾.

إذن فـ "دي سوسير" ميّز بين "علم الأصوات العام"، و"علم الأصوات الوظيفي"، وجعل الثاني علماً مساعداً للأوّل، وذلك من باب تفريقه بين ثنائية اللغة والكلام.

لكن في المقابل هناك من اللغويين من رفض الفصل بين ما يسمّى بـ: Phonology وPhonetics لأنّ «أبحاث كلّ منهما تعتمد على الأخرى، ووُضِعَ الاثنان تحت مصطلح Phonetics أو تحت مصطلح Phonology»⁽³⁾.

وفي العموم وعلى الرغم من وجود فوارق بين العلمين، فلا يمكن الفصل بينهما فهما متكاملان بحيث يشكّلان كلّاً موحداً،

(1) - حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص27.

(2) - فريدرياند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، 1985م، ص51.

(3) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص67.

فكلاهما يعملان في مجال واحد وهو دراسة أصوات اللغة، فالفونيتيك يجمع المادة الخام والفونولوجيا يخضعها للتقعيد، وذلك باستخلاص القوانين العامة من هذه المادة (الأصوات).

هذه - إذن - هي أهمّ الفروع العامة لعلم الأصوات، وكلّ فرع منهما يتفرّع بدوره إلى فروع خاصة، وسنركّز في هذا البحث - باختصار شديد - على فروع علم الأصوات العام فقط.

1 - فروع علم الأصوات العام

يطلق على عمليتي إنتاج الكلام وتلقيه: الحدث الكلامي، وهو يفترض حضور شخصين - على الأقل - وهما: المرسل (الباث)، والمرسل إليه (المتلقي)؛ فالأول يُنتج المادة الصوتية، والآخر يستقبلها ثمّ يفسّرها، وبناء على هذا يمكن دراسة الأصوات من ثلاثة جوانب، يمثّل كلّ جانب منها فرعاً مستقلاً من "علم الأصوات العام" وهي:

أ/ علم الأصوات النطقي:

يختصّ هذا العلم بدراسة ثلاثة جوانب وهي⁽¹⁾:

- 1 - دراسة الأصوات المنطوقة، والتفريق بينها من حيث المخرج (لثوية، شفوية،...)، أو الكيفية التي تنطق بها (انفجارية، احتكاكية،...)، وبيان صفتها (مجهورة، مهموسة،...) ونوعها (أنفية، فموية،...) وغيرها من التصنيفات
- 2 - الطريقة التي تتكوّن بها، والأعضاء المستخدمة في هذا التكوين.
- 3 - وظيفة الصوت المنطوق.

إذن فهو علم يدرس مخارج الأصوات وصفاتها التي تصدر عن الإنسان فقط، دون غيره من الكائنات الحيّة

الأخرى، فهو بهذا المعنى يدرس الجانب التشريحي عنده.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ جهاز النطق عند الإنسان إنّما يتألف من مجموعة من الأعضاء، بحيث يختصّ كلّ عضو منها بوظيفة بيولوجية من أجل استمرار وديمومة الحياة، وحفظ النوع الإنساني بالتميّز عن سائر المخلوقات في التكوين والصيرورة؛ هذه الأعضاء التي سمّاها علماء الأصوات بأعضاء النطق هي في الحقيقة لم تُخلق لأداء هذه الوظيفة، إنّما اختصّت بوظائف وعمليات أساسية أخرى لم يكن النطق إلّا جانباً ثانوياً في مسارها الوظيفي، فالتسمية جاءت من باب تسمية الكلّ باسم الجزء، فأعضاء النطق المتمثلة في: الرئتين، الحنجرة، الوتران الصوتيان، لسان المزمار، الحلق، اللسان، اللهاة، الحنك، اللثة، الأسنان، الشفتان وتجاويف الفم والأنف، كلّ منها عضو له مهمّة بيولوجية معيّنة، ووظيفة في التشكيل والبناء الصوتي؛ فالرئتان مثلاً - فضلاً على ما تؤديه من دور مهم في العملية النطقية فإنّهما: «تتقلان الأكسجين إلى الدم، وتطردان ثاني أكسيد الكربون عبر عمليتي الشهيق والزفير، وما تحتويه الرئتان من الشعب الهوائية والحويصلات»⁽²⁾.

(1) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 18.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص 23، 24.

إذن لكل عضو نطقي عند الإنسان وظيفة بيولوجية وأخرى نطقية؛ فالأولى أساسية، والأخرى ثانوية ويتألف جهاز النطق الإنساني من ثلاثة أقسام رئيسية، واجتنباً للوقوع في الحشو والاستطراد، سنكتفي هنا بذكر هذه الأعضاء ذكراً من دون تفصيل وتدقيق. وأقسام جهاز النطق عند الإنسان هي:

1 - الجهاز التنفسي: حيث يقوم بمهمة الاستقبال والإرسال الهوائي الداخل والخارج إلى الرئتين، ويتألف من: الرئتان⁽¹⁾ والقصبية الهوائية⁽²⁾.

2 - الجهاز التصويتي: يتألف هذا الجهاز من: الحنجرة⁽³⁾، لسان المزمار⁽⁴⁾ والوتران الصوتيان⁽⁵⁾.

3 - الجهاز النطقي: ويتألف هذا الجهاز من: الحلق⁽⁶⁾، اللسان⁽⁷⁾ والذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: طرفه أو ذولقه، وسطه وأقصاه أو مؤخره، الحنك⁽⁸⁾ وينقسم هو الآخر إلى ثلاث أقسام: مقدّمه أو اللثة، وسطه (الحنك الصلب أو الغار)، ومؤخره (الحنك اللين أو الرخو أو الطبقة)، اللهاة⁽⁹⁾، التجويف الأنفي⁽¹⁰⁾، الأسنان⁽¹¹⁾ والشففتان⁽¹²⁾.

يبدو جلياً من خلال هذا التصنيف أنّ جهاز النطق عند الإنسان يمثل جهاز إرسال يمتدّ من الرئتين حتى الشفتين. ويمكن تقسيم أعضاء النطق - المذكورة - إلى نوعين: أعضاء النطق المتحركة والمتمثلة في: الشفتان، اللسان، الحنك اللين، اللهاة، لسان المزمار (يتحرك بحركة اللسان)، الحنجرة بما فيها من غضاريف، الرئتان والقصبية الهوائية، في حين أنّ الأسنان، اللثة، الحنك

(1) - للمزيد من التوسع: ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

(2) - للمزيد من التوسع: ينظر: محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 24.

(3) - للمزيد من التوسع ينظر: محمد عبد الله القواسمة: معالم في اللغة العربية، صص 13، 14.

(4) - للمزيد من التوسع ينظر: شرف الدين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، 2012م، ص 29.

(5) - للمزيد من التوسع ينظر: محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، ص 59.

(6) - للمزيد من التوسع ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط 1415هـ / 1995م، ص 92.

(7) - للمزيد من التوسع ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: المرجع السابق، صص 92، 93. وأيضاً: شرف الدين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، ص 31.

(8) - للمزيد من التوسع ينظر: شرف الدين علي الراجحي: المرجع السابق، ص 30.

(9) - للمزيد من التوسع ينظر: أحمد زرقعة: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط 1، 1993م، ص 79.

(10) - للمزيد من التوسع ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: المرجع السابق، ص 94.

(11) - للمزيد من التوسع ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 41. وأيضاً: سمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2003م، صص 39، 40.

(12) - للمزيد من التوسع ينظر: نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط 2006م، صص 97، 98.

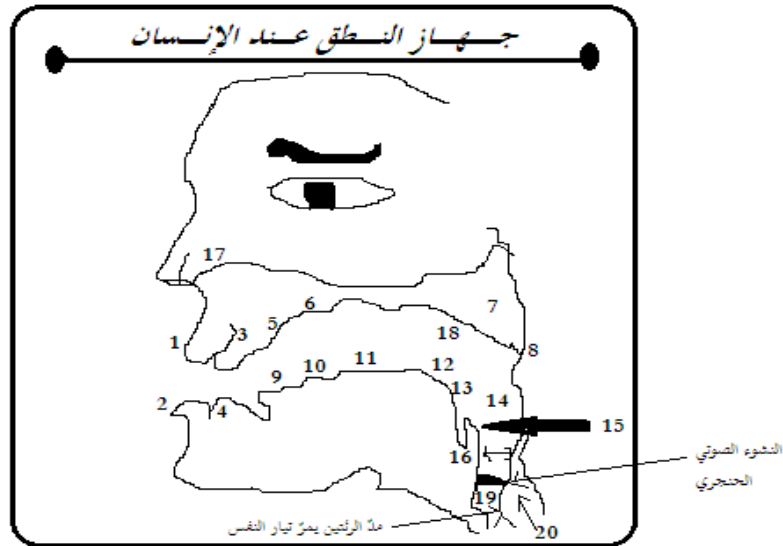
الصلب والجدار الخلفي للحلق فهي من أعضاء النطق الثابتة، كما يمكن القول أيضا: إنّ كلّ عضو من الأعضاء المتحركة السابقة الذكر قد يعمل وحده، دون الاشتراك مع غيره من الأعضاء المتحركة، أو قد يعمل مشتركا مع بعضها البعض.

وها هو "أحمد زرقة" يقسم لنا أعضاء النطق إلى قسمين اثنين مع بعض الاختلافات، حيث يسمي الأعضاء المتحركة بـ "النواطق الإيجابية"، وهي عنده تشمل: الرئة، الحبلين الصوتيين، اللهاة، اللسان، الحنك الرخو، الأسنان السفلى والشفيتين، في حين يطلق على الأعضاء الثابتة مصطلح: "النواطق السلبية" وهي عنده تشمل: الحنجرة الحلق، التجويف الأنفي، الحنك الصلب، اللثة والأسنان العليا⁽¹⁾.

فـ "أحمد زرقة" في هذا الموقف قد قسم الأسنان قسمين: عليا وسفلى، وجعل الأولى من أعضاء النطق الثابتة، والأخرى من أعضاء النطق المتحركة، ويبدو أنّ هذه الرؤية قاصرة وغير دقيقة؛ فالأسنان - من وجهة نظري - ليست من أعضاء النطق المتحركة على الرغم من تحركها، بيد أنّ المسؤول عن تحريكها هو الفك (السفلي أو العلوي). وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ هناك من اللغويين من اعتبر حركة عضو ما من عدمها معيارا لكون هذا العضو مباشرا أو غير مباشر «فالعضو الناطق المتحرك هو عضو نطق مباشر، والعضو غير المتحرك من أعضاء النطق عضو نطق غير مباشر»⁽²⁾.

وفي الأخير يمكننا أن نلخص أعضاء النطق التي يتكوّن منها الجهاز النطقي عند الإنسان في المخطط التالي⁽³⁾:

- الشكل 2 -



- 1 - الشفة العليا 2 - الشفة السفلى 3 - الأسنان العليا 4 - الأسنان السفلى 5 - اللثة 6 - الغار (الحنك الصلب) 7 - الطبق (الحنك اللين) 8 - اللهاة 9 - ذلق اللسان 10 - مقدّم اللسان 11 - وسط اللسان 12 - مؤخر اللسان 13 - الحنك الصلب 14 - الحنك الرخو 15 - اللهاة 16 - الحنجرة 17 - القصبة الهوائية 18 - الشعب الهوائية 19 - الرئة 20 - القصبة الهوائية

(1) - أحمد زرقة: المرجع السابق، ص 75.

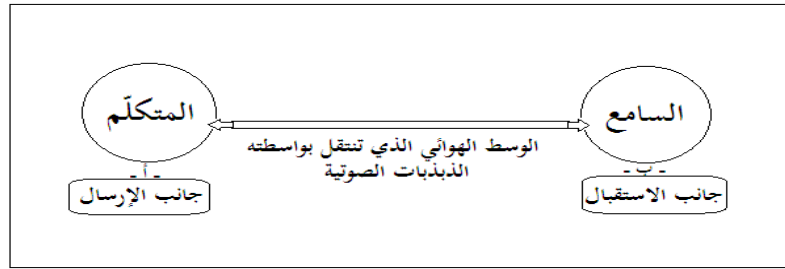
(2) - سمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 18.

(3) - صبري المتولي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص 109.

جذر(أصل) اللسان 14 - الحلق 15 - لسان المزمار 16 - مكان الأوتار الصوتية 17 - الأنف 18 - التجويف الفموي 19 - الحنجرة 20 - القصبة الهوائية.

ب/ علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):

يهتمّ هذا الفرع من العلوم بدراسة الأبعاد المادية أو الفيزيائية للصوت الإنساني أثناء مرحلتها الانتقالية من فم المتكلم إلى أذن السامع، هذه المرحلة تمثل الميدان التطبيقي لحدوث الذبذبات والموجات الصوتية التي تنتقل عبر الوسط الهوائي، ينظر الشكل -3-⁽¹⁾.



الشكل - 3 -

أشرنا سابقا إلى أنّ هذه العملية لا يمكن لها أن تتحقق إلّا من خلال وجود طرفين كحدّ أدنى: المتكلم ويمثّل الجانب الإنتاجي (علم الأصوات النطقي)، والمستمع ويمثّل الجانب الاستقبالي (علم الأصوات السمعي)، والوسط الهوائي الذي تنتقل بواسطته الموجات الصوتية من فم المتكلم (أ) إلى أذن المستمع (ب)، ويمثّل هذا الانتقال "علم الأصوات الفيزيائي". ويمكن تحديد اختصاص هذا الفرع في جانبين هما⁽²⁾:

1 - دراسة الموجات والذبذبات الصوتية التي أحدثها المتكلم.

2 - دراسة الوسيط الذي انتقل عبره الكلام إلى أذن السامع، أو القناة التي مرّ منها حتى وصل إلى المتلقّي.

ونشير في الأخير بأنّ "علم الأصوات الفيزيائي"، يدرس جميع الأصوات التي تصدر في الطبيعة، فهو بهذا المعنى لا يقتصر على ما هو منطوق فقط من قبل الإنسان كما هو الحال مع علم الأصوات النطقي، وإنّما يركّز على كل ما هو ذبذبة صوتية.

ج/ علم الأصوات السمعي أو الإدراكي:

يُعنى هذا العلم بدراسة «ميكانيكية الجهاز السمعي، والطرق التي تؤثر في سلوكيته وتأثره بالأصوات التي تشكّل مادته الرئيسية، من حيث تموجاتها واستقبالها، وتحويلها إلى برقيات مرّزة عبر سلسلة الأعصاب إلى الدماغ»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 44.

⁽²⁾ - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 19.

⁽³⁾ - عبد القادر عبد الجليل: المرجع السابق، ص 73.

ولهذا الفرع من علم الأصوات العام جانبان⁽¹⁾:

- 1 - جانب عضوي: ويتركز في دراسة فسيولوجية للأذن، وما يرتبط بها من أجهزة السمع.
- 2 - جانب نفسي: ويتركز في دراسة سيكولوجية الاستماع من حيث التأثير في المستمع واستجابته للمتكلم، ومن حيث العمليات العقلية التي تجري في ذهنه لتفسير الكلام.

وعليه، فإنّ الذبذبات الصوتية التي يرسلها الجهاز النطقي، يتلقاها الجهاز السمعوي ويعمل على فك رموز وشفرات هذه الرسائل، وإدراكها في الدماغ من خلال اللغة المشتركة بين المتكلم والمستمع.

وهذا الفرع من علم الأصوات لم يلق الاهتمام الكافي من لدن الدارسين، بقدر ما كان لعلم الأصوات النطقي، فالكثير من اللغويين أسقطوا هذا الفرع من مجال الدراسة الصوتية، وهذا ما ذهب إليه "كمال بشر" حيث نبهه يحدّد سبب هذا الإهمال فيقول: «...ويرجع السرّ في ذلك إلى وجود صعوبات جمّة في طريق غير المختصّين تحكّم الوصول إلى نتائج علمية صحيحة. من هذه الصعوبات - كما يرى بعضهم - احتواء هذا الفرع على ميدان ينتظم عمليات نفسية معقّدة لا تدخل في حقيقة الأمر في مجال البحث اللغوي بمعناه الاصطلاحي...»⁽²⁾.

ويخالف هذا الرأي ويعارضه بشدّة "أحمد مختار عمر" الذي يرى لهذا الفرع من الصوتيات أهمية كبيرة - على الرغم من كونه لم يحقق حتّى الآن تقدّما كبيرا - وعلى هذا الأساس يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الدارسين، وذلك «لأنّ أهمية دور السامع في العملية الكلامية لا تقلّ عن أهمية دور المتكلم»⁽³⁾. و لأجل ذلك فضّل أن يخصّص له فصلا مستقلا في كتابه "دراسة الصوت اللغوي".

ويُسمّى الجهاز الذي يستقبل الذبذبات الصوتية بـ "الأذن" والتي هي: «أداة السمع أو جهاز الالتقاط الذي يتلقّى الإشارة الصوتية، ويحوّلها إلى حركة تدبّ عبر الأعصاب، وتنتقل إلى الجهاز العصبي المركزي»⁽⁴⁾.

ويتألّف الجهاز السمعوي الإنساني من ثلاثة أقسام لا حاجة لنا في هذا البحث للتفصيل فيها، وهي: الأذن الخارجية، وتشمل: (الصيوان، الصماخ والبطلة)⁽⁵⁾، والأذن الوسطى والتي بدورها تتألّف من: (المطرقة والسندان والركاب)⁽⁶⁾، ثمّ الأذن الداخلية: وتنقسم إلى قسمين: (الأعلى منهما يعرف بالقنوات الهلالية، والأسفل: تعتبر القوقعة فيه من أهمّ أجزائه)⁽¹⁾.

(1) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 19.

(2) - كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000م، ص 44.

(3) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 45.

(4) - المرجع نفسه، ص 46.

(5) - للمزيد من التوسع ينظر نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 100. وأيضا: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 80.

(6) - للمزيد من التوسع ينظر نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 101.

يضاف إلى هذه الفروع الثلاث فرع آخر لا يقل أهمية عنها، وهو "علم الأصوات التجريبي"، فما المقصود به؟ وما الوظيفة التي يؤديها؟.

د/ علم الأصوات التجريبي (المعملي):

يُعنى هذا الفرع بالدراسات الصوتية معتمدا الأجهزة والآلات التي تقدّم مختلف التجارب على الصوت، بغية الوقوف على طبيعة مكوناته ودرجاته التباينية، ويطلق عليه كذلك: علم الأصوات المعملي، وتنحصر الآلات والمعدات المخبرية في ميدان علم الأصوات التجريبي في: الآلات الفيزيائية مثل: الأوسيلوكراف (رأسم الاهتزازات والذبذبات الصوتية)، جهاز الراسم الطيفي، آلة كوبر،... والآلات الفسيولوجية مثل: الكيموكراف، المجهر الحنجري (المرآة الحنجرية)، جهاز الراسم الحنجري، الأحناك الصناعية، أشعة X،... وكذا الآلات المنتجة للأصوات الصناعية⁽²⁾.

ويقوم هذا العلم فضلا عما سبق بوظيفة مهمّة جدا ألا وهي: «الربط بين الفونيتيكا بكلّ فروعه، وبين الفونولوجيا بكلّ فروعها أيضا»⁽³⁾.

2 - موضوع علم الأصوات الوظيفي

* مفهوم الفونيم، أنواعه ووظائفه:

يعتبر "الفونيم" من بين المصطلحات الغريبة التي شغلت فكر وتصوّر الكثير من علماء الغرب والعرب، ولعلّ نشأته كما تشير أغلب المصادر والكتب قد كانت على يد العالم و اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" ولا حاجة لنا هاهنا إلى تأريخ لحياه هذا المفهوم، وتتبع مراحل نموه ونشأته، بقدر ما نحن بحاجة إلى الوقوف على ماهيته ووظيفته في النظام اللغوي. فمن المعروف بأنّ "الفونيم" هو العنصر الصوتي الرئيس الذي يشكّل موضوع علم الأصوات الوظيفي، وهو مصطلح معقّد وعلّة تعقيده هي: «اختلاف وجهات نظر علماء الأصوات واللغة إليه، فمنهم من نظر إليه من زاوية عضوية فسيولوجية، ومنهم من نظر إليه من الناحية السمعية ونظر إليه آخرون من جانب نفسي أو عقلي صرف، وهناك من حدّد تصوّره له بالنظر إليه من طبيعته المادية الفيزيائية، وآخرون إلى وظيفته، وهناك من كانت زاوية نظره إليه تجريدية محضة، في المقابل فضّل بعضهم أن يجمع بين بعض هذه الجوانب أو كلّها في تحديده»⁽⁴⁾.

(1) - للمزيد من التوسع ينظر عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدّمة في علم أصوات العربية، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط3 1424هـ / 2003م، صص 54، 55.

(2) - ينظر عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص 85، 95.

(3) - عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 134.

(4) - ينظر أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، صص 165، 183.

ونتيجة لهذه الاختلافات والتضاربات تعددت المفاهيم والمصطلحات التي وُضعت للفونيم، شأنه في ذلك شأن معظم المصطلحات، صاغها علماء الأصوات كلٌ حسب طريقته ومنهجه في البحث اللغوي، ولا نريد في هذا البحث كذلك أن نطيل الحديث، أو الوقوف على كل تعريف على حدة لكثرتها وتنوعها، ولذا سنختار مجموعة منها تكون بينها علائق وتواشجات، لا لأي غرض سوى للإيجاز والتبسيط.

أ/ مفهوم الفونيم:

* عند "دي سوسير": يعرفه قائلا: «هو الحصيصة النهائية للانطباعات السمعية وحركات النطق، وهو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة، إذن فهو وحدة مركبة لها جدر في السلسلة المنطوقة، وآخر في السلسلة السمعية. إنَّ العناصر التي نحصل عليها أولا عند تقسيم السلسلة المنطوقة تشبه الحلقات في السلسلة، فهي لحظات لا يمكن اختصارها، كما لا يمكن دراستها خارج الوقت الذي تشغله»⁽¹⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنَّ تحديد "الفونيم" عند "دي سوسير" يقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الجهاز النطقي أولا والجهاز السمعي ثانيا، ولأجل ذلك وصف "الفونيم" بأنه وحدة مركبة، وكأنَّه بذلك ينتقد من كان اعتماده في تحديد "الفونيم" على الجانب النطقي دون الجانب السمعي أو العكس. إذن فـ "الفونيم" في نظر "دي سوسير" هو مفهوم مركب، ولا يمكن تحديده بالاعتماد على الجانب العضوي فحسب، بل ينبغي لمن أراد تحديد هذا المفهوم أن يقف على خصائص الفونيمات الصوتية بعد تلقّيها أو سماعها؛ ذلك أنَّ الاعتماد على الجانب السمعي ضروري في معرفة الوحدات الصوتية، وبدونه لا يمكن تحديدها بدقة، ولعلَّ هذا ما يؤكّده حينما يضيف قائلا: «يقتصر عمل كثير من علماء النظام الصوتي على العملية الصوتية، أي إنتاج الأصوات عن طريق الأجهزة الصوتية (كالحنجرة والفم وغيرهما)، ويهملون الجانب السمعي، إنَّ هذه الطريقة غير صحيحة، فالانطباع السمعي يصلنا بصورة مباشرة كما تصل الصورة التي تنتجها الأعضاء الصوتية، أضف إلى ذلك أنَّ الانطباع السمعي هو أساس أية نظرية صوتية...»، إنَّ الأذن تخبرنا عن الصوتين: ت، ب وغيرهما، فحتى لو استطعنا تصوير حركات الفم والحنجرة عند النطق بسلسلة من الأصوات، فإنَّنا لن نستطيع أن نتميَّز التقسيمات الفرعية لحركات النطق، فلن نستطيع أن نعرف أين يبدأ صوت ما، وأين ينتهي الصوت الآخر؟ ولولا الانطباع السمعي ما استطعنا أن نقول على سبيل المثال أن: Fal تتكوّن من ثلاث وحدات وليس من وحدتين أو أربع وحدات...»⁽²⁾.

* عند "رومان جاكبسون":

(1) - فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ص 58.

(2) - فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، صص 56، 57.

يعرّف "الفونيم" بقوله: «إنّ الفونيم هو الكيان اللغوي الوحيد من دون مضمون مفهومي، وهو ليس ذا معنى بذاته، إنّما هو أداة تساعد على التمييز بين المعاني»⁽¹⁾، ويقول أيضا في موضع آخر: «إنّ الفونيم عنصر يساعد إبراز المعنى إلّا أنّه هو ذاته خلو من المعنى، إنّ ما يميّزه من كلّ العناصر أو المكونات اللغوية وبصوره أكثر عمومية من كلّ القيم السيميوطيقية هو كونه رمزا سلبيا فقط»⁽²⁾.

وهذان التعريفان مكملان لبعضهما البعض، ومفادهما أنّ "الفونيم": هو أصغر وحدة صوتية في نظام اللغة، وقد حدّد "جاكبسون" من خلال هذين التعريفين الوظيفة التي يؤديها الفونيم في الكلام، فعلى الرغم من كونه أصغر وحدة صوتية ليس له دلالة في ذاته، إلّا أنّه قادر على تغيير المعنى، وذلك بطرق شتى سيأتي الحديث عنها في مكانها إن شاء الله.

ولعلّ هذا هو التعريف - التعريف الوظيفي - الذي لقي راجا كبيرا وقبولا من لدن الباحثين العرب، فهاهو مثلا الباحث الجزائري "مصطفى حركات" يعرفه بقوله: «هو أصغر وحدة واردة في السلسلة الكلامية محدّدة بصفاتها المميّزة، وقد تختلف الصفات المميّزة للفونيم الواحد من لغة إلى أخرى؛ فالباء في الفرنسية توصف بالجهري لأنّ في الثنائية (pas; bas): يفرّق الجهر بين كلمتين بينهما انعدام حرف مهموس له باقي صفات الباء في العربية يجعل هذا النوع من التقابل غير ممكن»⁽³⁾.

وإلى نفس الاتجاه يذهب "عبد القادر عبد الجليل"، حيث يعرف "الفونيم" بأنّه: «أصغر وحدة صوتية تفرّق بين المعاني: حَلَبَ، حَلَبَ، فالجيم والحاء هما اللذان يفرّقان بين معنى التركيب الأول والتركيب الثاني»⁽⁴⁾.

وتعرّفه "نور الهدى لوشن" بقولها: «هو أصغر وحدة صوتية يتغيّر بها معنى الكلمة، إذا استبدلت بوحدة أخرى وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته، وإنّما هو ذو سمات تمييزية؛ فالفونيم وحدة صوتية وظيفية»⁽⁵⁾.

إذن فجميع هذه التعريفات تشير إلى الطابع الوظيفي للفونيم، والمتمثّل في الوظيفة التمييزية للغة، ويتّفق مع هؤلاء "حاتم صالح الضّامن"، غير أنّه يأتي بشيء جديد حول مفهوم "الفونيم"، يقول: «الفونيم أصغر وحدة صوتية مجرّدة تمايزية، لا تحمل بحدّ ذاتها أيّ معنى، يكون الحركة الثانية في الانبناء المزدوج، ويمكن عدّه مجموعة من السمات التمايزية المتّحدة فيما بينها»⁽⁶⁾.

ف "حاتم صالح الضّامن" في هذا التعريف يحدّد لنا الوظيفة التمييزية "للفونيم"، كما يشير كذلك إلى ظاهرة لغوية أهملتها التعريفات السابقة الذكر، وهي ما يعرف في اللسانيات الوظيفية لـ "أندري مارتنيه" بـ: "التقطيع المزدوج" والذي ينبني على مستويين أساسيين أولهما: «التقطيع على مستوى الوحدات الدالة، والتي تعرف بالمصطلح الغربي "فونيم"، وبالمصطلح العربي "لفظ"، وهي الوحدات

(1) - رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م ص18.

(2) - المرجع نفسه، ص143.

(3) - مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ / 1998م، ص17.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ / 2009م، ص33.

(5) - نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، صص123، 124.

(6) - حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ / 2007م، ص193.

الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات غير دالة وهي الفونيمات. ويقابلها في الاصطلاح العربي مصطلح الصوت، وهي التي تمثل المستوى الثاني من التقطيع المزدوج»⁽¹⁾ وهذا ما أشار إليه "حاتم الضامن" بقوله: (يكون - أي الفونيم - الحركة الثانية...); أي يمثل المستوى الثاني من الانبناء (التقطيع) المزدوج.

و"الفونيم" مصطلح غربي قوبل في الحوض المعرفي العربي بعدة مصطلحات كما رأينا، منها: الصوت، الصوت اللغوي، الوحدة الصوتية، الوحدة الفونيمية... الخ، وهناك من جعله مقابلا للحرف، ومن هؤلاء "رمضان عبد التّوّاب"، يقول: «هذه الأصوات المختلفة التي يُعبّر عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، هي ما يطلق عليه اسم: فونيم Phoneme = وحدة صوتية/عائلة صوتية، وفي إمكاننا نحن أن نطلق عليه اسم (حرف) مقصودا به الرمز الكتابي»⁽²⁾.

من خلال كلّ هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها يمكن أن نتساءل: هل أنّ "الفونيم" - فعلا - وحدة قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر منها؟. وبما أنّ "الفونيم" ليس له دلالة في ذاته، ومع ذلك فهو قادر على تغيير معنى "المونيم" (الكلمة). فماذا لو استبدلنا - إذن - فونيم بفونيم آخر ولم يؤد هذا الاستبدال إلى تغيير في المعنى؟. ثمّ هل أنّ تغيير معنى المونيمات متوقف فقط على تغيير صوت بصوت آخر؟. وهل أنّ "الفونيمات" قاصرة على الصوامت دون الحركات (الصوائت)؟. أم أنّها تشملهما معا؟. هذا وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تبعا فيما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ب/ الفونيم: قابل للتجزئة أم لا؟.

إنّ مسألة قابلية "الفونيم" للتجزئة من عدمها، من بين الإشكالات التي وقف عليها علماء اللغة، فمنهم من قال: بأنّ "الفونيم" قابل للتجزئة إلى وحدات أصغر، ومنهم من رفض هذا الكلام، وقال: بأنّ "الفونيم" هو في أصله أصغر وحدة في اللغة، فكيف إذن يتمّ تجزئة الوحدة الصغرى إلى وحدات أصغر منها؟! وكلّ له حجّته في مذهبه واتجاهه، فها هو "ماريو باي" مثلاً يؤكّد على قابلية الفونيم للتحليل والتجزئة إلى وحدات ألفونية، حيث تشكّل هذه التنوعات الصوتية المتشابهة وحدة الفونيم، وعليها «يتوقف استعمال كلّ منها أساسا على موقعه في الكلمة (أولا - وسطا - آخر... الخ)، وعلى الأصوات المجاورة له (قبل علّة، قبل ساكن، بين علّتين، ملاصق لصوت مجهور أو مهموس... الخ)»⁽³⁾.

وإلى نقيض ذلك تماما يذهب "رومان جاكبسون"، حيث يقول بأن: «الفونيم غير قابل للتجزئة كما يعتقد البعض، فهو كيان معقّد»^(*)، فليس الفونيم؛ بل كلّ سمة من سماته المتميّزة لا يمكن اختزالها في كيان تقابلي خالص، إذ تتموضع كلّ إشارة لغوية على

(1) - ينظر شفيقة علوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مؤسسة أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص19.

(2) - رمضان عبد التّوّاب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص83.

(3) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص88.

(*) - لا يقصد "جاكسون" بمصطلح "التعقّد": التركيب، بل يقصد: اختلاف وجهات وزوايا النظر إلى "الفونيم"، وتلك علّة تعقيده (ينظر تعريفات "الفونيم" من هذا البحث)، هذا فضلا عن ضرورة اجتماع الجانب النطقي والسمعي في تحديد مفهومه (ينظر تعريف: "دي سوسير" له).

محورين: محور التزامن ومحور التعاقب، والفونيم هو الكيان اللغوي الأصغر الذي يتوزع على هذين المحورين⁽¹⁾. ويشاطره في هذا الرأي "عبد القادر عبد الجليل" الذي يرى هو الآخر بأنّ "الفونيم" «أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، فلو أخذنا لفظة "جالس" نرى أنّها تتكوّن من: ج ا ل س، وهذه وحدات صوتية غير قابلة للتجزئة، ويسمّى كلّ واحد منها "فونيم"»⁽²⁾.

يبدو جلياً من خلال ما سبق ذكره أنّ "الفونيم" وحدة اللغة الصغرى، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال تقسيمها إلى ما هو أصغر منها؛ فهو الجزء الذي لا يتجزأ، لأنّه كلّما اجتمع أكثر من فونيم تشكّل ما يعرف بـ "الحرف". أمّا "المونيم" فهو القابل للتجزئة إلى وحدات أصغر وهي "الفونيمات" لكونه حامل للمعنى، فما لا دلالة له في ذاته غير قابل للتجزئة.

ذكرنا فيما سبق أنّ "الفونيم" ذو وظيفة تمييزية، ولكن إذا تمّ تعويض أو إحلال صوت محلّ صوت آخر، ولم ينشأ عن ذلك التعويض أيّ تغيير في المعنى، لا يسمّى ذلك الصوت حينها "فونيم"، بل هو بدل منه وعوض عنه وهذا ما يسمّيه علماء الأصوات "ألفون"، ممّا يعني أنّ "الفونيم" صوت ولكن ليس كلّ صوت بفونيم. وفي هذا الصدد يقول "ماريو باي": «أنّه لو حدث ووضعنا صوتين إحداها مكان الآخر في كلمة ما، مع الاحتفاظ بباقي الحروف، فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يحدث أيّ اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيير فهما فونان لفونيم واحد»⁽³⁾.

إذن، فالفرق بين "الفونيم" وبين "الألفون" والذي يمثّل التّأديات الصوتية المختلفة للفونيم الواحد، دون أن تؤدّي هذه التّأديات أو الصور النطقية المختلفة أو الاستعمالات المتباينة إلى تغيير في الدلالة، فرق واضح وجليّ. ونستطيع أن نضرب مثالا على ذلك باللهجات التي تنتمي إلى لسان واحد، أو إلى بقعة جغرافية واحدة أو كلاهما معاً، فعلى سبيل المثال: صوت "القاف" في الجزائر: يتمّ تأديته بصور نطقية مختلفة؛ فينطق "ألفا" في تلمسان و"قالا" (بثلاث نقاط على القاف) في قسنطينة وسطيف، و"غينا" في الجلفة، و"كافا" أو ما شابهها في جيجل وما جاورها، دون أن يكون لهذه الصور النطقية المختلفة تأثيراً على معنى الكلمات، إذن فالفونيم: «هو الوحدة الصوتية التي تتألّف من أصوات جزئية تسمّى الألفونات أو التنوعات الفونيمية، حيث يمثّل الفونيم المفرد نوعاً يجمع تحته أفراد أسرته»⁽⁴⁾.

ج/ مستويات الفونيم:

عرفنا فيما سبق من هذا البحث أثناء الحديث عن "الصوت اللغوي" وكذا عند عنصر "مفهوم الفونيم" أنّ لهذا الأخير مستويين اثنين؛ الأوّل "عقلي" يتمثّل في إدراك دلالة الصوت في الذهن، والآخر مادي ذو وجهين اثنين: فسيولوجي (عضوي)،

(1) - رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، ص 144.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: التنوعات اللغوية، ص 32، 33.

(3) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 89، 90.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 113.

وآخر فيزيائي (الذبذبات والموجات الصوتية)، والذي يتحوّل بفضل السمع إلى المستوى العقلي الأول بعد ترجمة هذه الذبذبات الصوتية في المخ.

د/ وظيفة الفونيم:

يؤدّي الصوتيم (الفونيم) وظيفتين: إحداهما إيجابية، والأخرى سلبية، أمّا الإيجابية فهي: «مّا يساعد على تحديد المعنى في الكلمة التي يحتوي عليها الصوتيم، والسلبية هي التي تحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى، فالتاء في تاب صوتيم (فونيم) تشترك مع الصوتيمات الأخرى في تلك الكلمة لتحديد المعنى، وهذه وظيفتها الإيجابية، وإذا أُنْذِلَتْ هذا الصوتيم صوتيما آخر، فإنّ المعنى يتغيّر حتماً مثل: عاب وتاب وباب، ويجعل الكلمة الأولى مختلفة في معناها عن معاني الكلمات الأخرى، وهذه وظيفتها السلبية»⁽¹⁾.

إذن، فالفونيم حينما يشترك مع غيره من الفونيمات في تشكيل معنى مونيم ما؛ بحيث لا يؤدّي هذا المونيم معنى دونه، فهو بهذا قد أدّى وظيفة إيجابية، أمّا إذا أحللنا محلّه فونيماً آخر مضاداً ومخالفاً له، وأدّى هذا الإحلال إلى تغيّر في المعنى، نقول عن الفونيم في هذه الحالة إنّ وظيفته سلبية.

أشار القول السابق إلى وظيفة "الفونيم" حينما يكون صامتا، غير أنّ هذه الوظيفة لا تقتصر على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك؛ فالحركات سواء كانت طويلة أم قصيرة لها دور بارز هي الأخرى في التمييز بين معاني الكلمات، فكلمة: بُر مثلاً بضمّ الباء تختلف عن كلمة بر بالفتح وتختلف عن: بر بالكسر، فالأولى تعني القمح، والأخرى تعني اليابسة والثالثة تحيل على معنى الطاعة والعمل الصالح، وما يقال عن الحركات القصيرة ينطبق كذلك على الحركات الطويلة؛ فـ "قال" مثلاً يختلف معناها هي الأخرى عن "قيل" وهلمّ جرا. كما تعتبر كذلك "علامات الترقيم" فونيمات لها دخل في تغيير معنى العبارات من إخبار إلى استفهام إلى تقرير إلى تعجب... الخ.

هـ/ أقسام وأنواع الفونيمات في اللغة العربية:

تنقسم "الفونيمات" في اللغة العربية إلى قسمين: الفونيمات التركيبية أو القطعية، والفونيمات فوق التركيبية أو فوق القطعية على اختلاف المصطلحات والتسميات، وفيما يلي بيان لكلا القسمين:

* فونيمات رئيسية أو تركيبية:

يُقصد بها: «الوحدة الصوتية التي تكون جزءاً أساسياً من الكلمات المفردة، وذلك كالباء والتاء والثاء وكذلك حركات الإعراب الطويلة والقصيرة»⁽²⁾. أو هي: «أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظها»⁽¹⁾.

(1) - تحسين عبد الرضا الوزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن ط1، 2011م، صص 282، 283.

(2) - نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، 2004م، ص73.

يُتَّضح من خلال هذين التعريفين أنَّ "الفونيم" إمَّا سَمِّي تركيباً لأنَّه يتدخل في تركيب الكلمة المفردة ويكون جزءاً منها، كما يشير أن كذلك إلى أنَّ الفونيمات التركيبية ليست قاصرة على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك، كما يمكن أن يفهم من خلال هذين التعريفين أيضاً أنَّ الصفات الصوتية بنوعيتها تعتبر من الفونيمات التركيبية، أو بتعبير آخر ظاهرة قطعية؛ مادام أنَّ الصفة الصوتية جزء لا يتجزأ من الصوت اللغوي لشبوتها فيه، فالصفات اللازمة غالباً ما تكون قاصرة على الصوامت مثل الجهر، الاستفال، الانحراف... حال إفرادها عموماً، في حين تكون الصفات العرضية في الصوامت والصوائت على حدّ سواء، لكن حال التركيب في الغالب، سواء كان ذلك التركيب صامتاً مع صامت آخر نحو: أحكام النون الساكنة والتنوين، أم صامتاً مع صائت كما هو الحال مثلاً في أحكام التفخيم والترقيق في أغلب حالاته.

تتألّف اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيماً تركيبياً موزّعة على النحو التالي⁽²⁾:

1 - ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة، وهي: الفتحة والكسرة والضمة.

2 - ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة: الفتحة الطويلة (الألف)، الكسرة الطويلة (الياء) والضمة الطويلة (الواو).

3 - فونيمان لأنصاف الصوائت: الواو والياء.

4 - ستة وعشرون فونيماً للصوامت وهي: حروف الهجاء.

وتوصف فونيمات الصوائت القصيرة بأنّها فونيمات متساقطة؛ أي قابلة للحذف أثناء تيار الكلام، وهذا لا يتحقّق في العربية الفصحى إلّا من باب التسهيل والتيسير، أمّا بقية فونيمات اللغة العربية فهي فونيمات غير متساقطة، أمّا أشباه الصوامت (أنصاف الصوائت) وهما الواو والياء، فكما هو معلوم أنَّ الواو مثلاً صوت (صامت طويل + صامت) ورمز، وتظهر في التراكيب اللغوية تحتلّ موقعين: إحداها موقع الأصوات الصامتة لتقوم بوظيفتها في تشكيل الصورة الدلالية وتبادل المواقع مثل: ولد=بلد، يلد=جلد، والآخر: موقع الصوائت الطويلة لتقوم بوظيفتها في تشكيل معالم الدلالة وتبادل المواقع، نحو: بُوق=بُرق، يريد=يرفد...

* فونيمات ثانوية أو فوق تركيبية:

وهي «ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام - بعكس الرئيسية - فهي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنّما تظهر وتلاحظ فقط حين تضمّ كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصّة ومن أمثلتها: المقطع والنبر والتنغيم»⁽³⁾.

وسمّيت "فوق تركيبية" لأنّها لا تتدخل في تركيب الكلمة المفردة، كما هو الحال مع النوع الأوّل، وإنّما تتجلى من خلال ضمّ

كلمة إلى أخرى مثلها أو أكثر، وغالباً ما يرتبط هذا النوع بالتأديات النطقية والممارسات الكلامية

ولأجل ذلك سَمِّي هذا النوع أيضاً بالتنوعات اللغوية أو السياقية.

(1) - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007م، ص184.

(2) - عبد القادر عبد الحليل: علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431هـ / 2011م، ص97.

(3) - نادبة رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص75.

وهناك من فضّل استعمال مصطلح "فوق القطعية" للدلالة على هذا النوع من الظواهر الصوتية، يقول: "أحمد مومن": «الفونيم الفوققطعي هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرة أو نغما أو فاصلا، ويطلق عليه أيضا الفونيم الثانوي أو البروسوديم»⁽¹⁾، ويقول "منصور الغامدي" في شرح المصطلح: «مصطلح يدلّ على الخصائص الصوتية التي تتجاوز الصوت نفسه»⁽²⁾.

فالنبر والتنغيم مثلا فونيمان فوق قطعيان؛ لا يتدخلان - كما أسلفنا - في تشكيل الصوت في حدّ ذاته، كما هو الحال مع الصوامت والصوائت، بل أنّ دورهما يكمن أساسا في إعطاء الصوت تلونا معيّنا، إذن فهذا النوع من الظواهر لا تظهر في الكتابة وإنّما تظهر من خلال الأداء والكلام (الاستعمال اللغوي).

نخلص في النهاية إلى التأكيد بأنّ "الفونيم" وظائف عدّة، وأبرزها الوظيفة التمييزية، ولكن هذه الوظيفة لا يمكن "الفونيم" وهو على أصله في التجرد أن يقوم بها، فلا بدّ له أن يكون مجاورا لغيره سواء أكان هذا الأخير صامتا (صوتا/حرفا)، أم صائنا (حركة قصيرة/طويلة). كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ "الفونيم" قد يؤدي هذه الوظيفة ليس من خلال استبدال "فونيم" بـ "فونيم" آخر (صوتا أو حركة)، وإنّما يؤديها حينما تتبادل الفونيمات مواقعها داخل بنية الكلمة الواحدة، فكلمة "دلو" وكلمة "ولد" كلاهما يتشكّلان من نفس الفونيمات، غير أنّهما يحملان دلالتين مختلفتين ويرجع هذا الاختلاف إلى تبادل الفونيمات المشكلة للكلمتين السابقتين مواقعها فيهما.

بعد أن تعرّفنا على "علم الأصوات" وموضوعه، وعلى مختلف المصطلحات التي يقوم عليها هذا العلم، وعلى الفروع العامة وكذا الخاصة له، سنتعرّض في آخر هذا المبحث إلى نقطة لا تقلّ أهميّة عن سابقتها وهي: أهميّة علم الأصوات. ففيما تكمن أهميّة هذا العلم؟ وما هي أبرز المجالات التي يقوم عليها؟.

المطلب السادس: أهميّة علم الأصوات

حاول علماء الأصوات المحدثون استخلاص أهميّة الدراسات الصوتية الحديثة في المجالات التطبيقية والعملية وسنمثّل لبعضها فيما يلي⁽³⁾:

1 - تسجيل نتائج الدراسة الصوتية من خلال آلات دقيقة، يمكّننا من إجراء المقارنات الصوتية والوقوف على ما يحدث لها من تغيير.

2 - تسجيل أنماط كلامية مختلفة لبيئات متعدّدة، يمكّننا من درس هذه اللغات ومعرفة تطوّر أصواتها عبر فترات زمنية متباعدة.

(1) - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 184.

(2) - منصور بن محمّد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط 1، 1421هـ / 2001م، ص 79.

(3) - ينظر نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، صص 92، 94.

- 3 - لا يوجد "فقه نحو مقارن" بدون الاعتماد على الدراسة الصوتية، فهو يصف أصوات لغة ما في فترة زمنية محدّدة، ومقارنتها بأخرى في فترة زمنية محدّدة؛ يؤدي ذلك إلى ظهور علم المقارنات الصوتية.
- 4 - إنّ "علم الأصوات" يقدّم عوناً كبيراً في إجادة نطق اللغات الأصلية، وفي تعلّم نطق اللغات الأجنبية، فهو إذن يصف اللغات وأنظمتها الصوتية.
- 5 - يفيد "علم الأصوات" في تعليم الأداء السليم نطقياً، ولا سيما لذي العيوب الكلامية والأمراض النطقية، وذلك من خلال الوقوف على خصائص الصوت وتعيين مخرجه وموضع نطقه وصفته.
- 6 - يساعد "علم الأصوات" على تطوير وسائل الاتصال، كما حدث في آليات الصوت وأجهزته وكذلك في علم التليفون والتلغراف، هذا بالإضافة إلى التجارب التي تبين معايير السمع ودرجات الصمم، وتحديد استخدام الأذن السليمة والمريضة عند حدوث العملية الكلامية.
- 7 - يقوم بدور فعال في تعليم الصم الكلام، وذلك من خلال إشارات نطقية شفوية، كما يعلّمونهم كيفية استقبال إشارات معيّنة كرد فعل على ما قيل، وكذلك ضعاف السمع يكتبون الخصائص النطقية للأصوات اللغوية.
- إذن، فعلم الأصوات يستفاد من ثماره الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية يستفاد منه في: تعليم اللغات للناطقين بها وغير الناطقين، في مجال الطب، في ميدان الإعلام والاتصال، في فنّ الموسيقى ونظم الشعر، في البلاغة (جانب الفصاحة والبيان)، في علم الفلك... الخ.

مخارج الحروف وصفاتها المميّزة:

المبحث الأول: مخارج الحروف بين القدامى والمحدثين:

إنّ موضع النطق عند القدماء - كما رأينا - هو ما يعرف بمخرج الحرف أو المدرج أو المحبس...، وكلّها تجمعها مجموعة واحدة تسمى: "الحيز الصوتي"، تكلم عن ذلك كل من "الخليل بن أحمد الفراهيدي" و"سيبويه" و"ابن جني" و"ابن جزري" وغيرهم، مصنّفين الأصوات العربية على أساسها، فكان لكل واحد منهم أبجديته الصوتية، وكان للمحدثين أيضاً مثلهم أبجدية خاصة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه قد يُفهم من خلال عبارة "موضع النطق": أنّ العضو المسؤول عن إصدار الصوت وإنتاجه هو عضو واحد، وهذا تصوّر يبدو قاصراً وغير دقيق؛ فقد يشترك في أغلب الأحيان عضوان أو أكثر في إحداث الصوت، وذلك بأن يكون موضع النطق هو نقطة الالتقاء بين الأعضاء المساهمة في صناعة الصوت وتشكيل هيئته البنائية.

بناء على ما سبق، فقد اختلف علماء الأصوات في تحديد عدد مخارج الحروف عند الإنسان؛ فمنهم من جعلها ثمانية مخارج، وآخرون قالوا: إنّها عشرة أو إحدى عشر مخرجاً، في حين هناك من عدّها أربعة عشر مخرجاً، وكان للبعض الآخر بأن حدّد عددها في ستة عشر مخرجاً، وقال جمهور القراء والنحويين أنّها سبعة عشر مخرجاً.

وفيما يلي عرض لأشهر الأبجديات والتصنيفات الصوتية التي وضعها علماءنا القدامى والمحدثون:

المطلب الأول: مخارج الحروف عند علماء الأصوات القدامى

1 - عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت/175هـ):

لقد استطاع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بفضل سلامة ذوقه ورهافة حسّه وسمعه، أن يتوصّل إلى نتائج غير مسبقة، فمن أهم ما استطاع الوصول إليه: وضع ترتيب جديد للأصوات العربية على أساس مخارجها، مخالفاً به الترتيب الأبجدي المألوف الذي نقله العرب عن غيرهم من الساميين الذين ابتكروه، وعلى هذا الأساس بنى معجمه الرائد "العين"؛ حيث قسّم الأصوات حسب مخارجها مبتدئاً بأصوات الحلق، ومنتهياً عند أصوات الشفتين. وقد ذكر لنا "الليث بن المظفر" تلميذ "الخليل" في مقدّمة هذا المعجم، تلك الطريقة التي تعرّف من خلالها أستاذه على مخارج الأصوات، فقال: «وإنما كان ذواقة إياها أنّه كان يفتح فاه بالألف، ثمّ يُظهر الحرف نحو: أب، أث، أخ، أغ، فوجد "العين" أدخل الحروف في الحلق فجعلها أوّل الكتاب، ثمّ ما قرّب منها الأرفع فالأرفع حتّى أتى على آخرها وهو الميم»⁽¹⁾، لأجل ذلك سمّى معجمه "العين" لأنّها أقصى الحروف مخرجاً، وهي أوّل الحروف في المعجم، وبناء على هذا فقد جاء ترتيب "الخليل" لحروف الهجاء على النحو التالي: «ع ح ه خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء»⁽²⁾.

يتّضح من خلال ما سبق أنّ "الخليل" قد صنّف الأصوات العربية على ثمانية مخارج، وجعل المخرج التاسع لحروف الجوف، أو كما يسمّيها بـ"الأصوات الهوائية"، وفي هذا يقول "الليث" على لسان أستاذه: «قال الخليل: فالعين والحاء والهاء والغين والحلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأها من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم؛ أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأنّ مبدأها من أسلة اللسان؛ وهي مستدقّ طرف اللسان، والطاء والدال والتاء نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والدال والتاء لثوية لأنّ مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللسان؛ وهو تحديد طرفي ذلق اللسان، والفاء والباء والميم شفوية/ شفعية لأنّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنّها هوائية في الهواء لا يتعلّق بها شيء، فُتسبب كلّ حرف إلى مدرّجته وموضعه الذي يبدأ منه»⁽³⁾.

إذن فقد رتب "الخليل" الأصوات العربية وفق الصورة السابقة طبقاً لقانون صوتي وهو أنّ هذه الحروف حسبها بعضها أدخل من بعض، أو ما يعرف بحيّز أسبق من حيّز، ولعلّ هذا ما نلمسه من خلال قوله "ثمّ ما قرّب منها الأرفع فالأرفع"، مع الإشارة هاهنا إلى أنّ كلّ مخرج من المخارج الثمانية أو التسعة التي وضعها "الخليل" تمثّل حيّزاً صوتياً، وأنّ الحيّز التاسع والذي تضمّن حروف

(1) - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج 1، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، الرشيد للنشر، بغداد، العراق، دط 1981م، ص 47.

(2) - المصدر نفسه، ص 48.

(3) - نفسه، ص 58.

الجوف والهمزة، إنما وصف أصواته بالهوائية لأن لا حاجز يعترض النفس أثناء النطق بها، باستثناء الهمزة التي تراجع عنها - فيما بعد - واعترف بأنها تخرج من أقصى الحلق، قائلا: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق...»⁽¹⁾.

وفي الحقيقة تعدّ الطرق التي اختبر بها "الخليل" الأصوات ليعرف مخارجها، أول محاولة علمية حققت نجاحا علميا في مجال الدرس اللغوي عامة والصوتي على وجه التحديد، وفتحت الطريق أمام الكثير من العلماء في الدراسات الصوتية، فمنهم من وافقه فيما توصل إليه من نتائج، ومنهم من اختلف معه في بعضها. ويبقى القدماء معذورين فيما بلغوه من نتائج، وفيما عجزوا عن تحقيقه في وصف أعضاء النطق الداخلية التي لا تراها العين المجردة، لاعتمادهم على الملاحظة المباشرة ولفقدان الأجهزة العلمية الحديثة، ولعلّ هذا هو السبب الرئيس الذي جعل علماء الأصوات القدامى يختلفون في تحديد مخارج الأصوات.

2 - عند "سيبويه" (ت/180هـ):

قام "سيبويه" في كتابه الرائد "الكتاب" بدراسة صوتية دقيقة مخالفا فيها تصوّر أستاذه "الخليل"، حيث ميّز بين أصول الأصوات العربية وبين فروعها المستحسنة والمستهجنة، كما كان أكثر توسّعا في تحديده لمخارج الأصوات، يقول "سيبويه" في أصول أصوات اللغة العربية: «هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، الألف الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم والواو»⁽²⁾. ويضيف قائلا في الأصوات المستحسنة ممّا هي فرع من أصل: «وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يُعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصّلاة والرّكاة والحياة»⁽³⁾.

فالنون الخفيفة هي النون غير المشدّدة، والهمزة التي بين بين هي الهمزة المسهلة (النطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها)، والإمالة المحضة أي الإمالة الكبرى، والشين التي كالجيم مثل كلمة: "جيهان"، والصاد الشبيهة بالزاي مثل الزراط من (السرّاط)، وألف التفخيم هي التي تتبع ما قبلها في التفخيم إن كان حقّه التفخيم.

وكان لـ "سيبويه" حديث عن الحروف المستهجنة في العربية كذلك، حيث نجده يقول: «وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي: الكاف التي بين الجيم

(1) - نفسه، ص52.

(2) - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه): الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/1982م، ص431.

(3) - المصدر نفسه، ص432.

والكاف، والجيم التي كالـكاف، والجيم التي كالـشين، والضاد الضعيفة، والضاد التي كالـسين، والطاء التي كالـتاء، والظاء التي كالـثاء والباء التي كالـفاء»⁽¹⁾.

وهذه الحروف جميعها يرى أنّها تصدر من ستة عشر مخرجا، وفي هذا يقول: «فللحلق منها ثلاثة؛ فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم: الغين والحاء، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُوقَ الثنايا^(*) مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والياء، ومما بين طرف اللسان وفُوقَ الثنايا مخرج الزاي والسين والضاد، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والياء، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلَى مخرج الفاء، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة»⁽²⁾.

فـ"سيبويه" كان أكثر توسّعا ودقّة في تحديده لمخارج الأصوات من أستاذه "الخليل"، إذ جعل أصوات العربية 16 مخرجا خاصا، تتضمّن منها أربعة مخارج عامة، وهي: الحلق الذي قسّمه إلى ثلاث أقسام هي: أقصاه فأوسطه ثم أدناه، أمّا اللسان فجعل له عشر مخارج خاصة، سواء كان اللسان فيها بأقسامه المتعدّدة هو العضو الوحيد المسؤول عن إصدار الصوت، أم بمشاركة أعضاء أخرى معه من قبيل: الحنك بكلّ أقسامه، الثنايا العليا أو السفلى أو كلاهما معا،... أمّا المخرج العام الثالث فهو: الشفتان سواء كان بانطباقهما أو بمشاركة الثنايا في إصدار الصوت، ليكون بهذا التجويف الأنفي أو كما يعرف أيضا بالخيشوم المخرج العام الرابع، والمسؤول عن إصدار النون الخفيفة؛ أي الساكنة.

هذا بالنسبة إلى "سيبويه"، أمّا "ابن جني" (ت/392هـ)، فتجدر الإشارة هاهنا إلى أنّه قد اتّفق مع "سيبويه" اتفاقا تامّا في تحديد الأصوات العربية، والتمييز بين ما هو أصل منها وما هو بالفرع المستحسن أو المستهجن، كما اتّفق معه كذلك في تحديد مخارج الحروف عددا وموضعا، مع بعض الفروقات الطفيفة كتفصيل "ابن جني" مثلا في مخرج "الضاد" حيث يقول: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلّا أنّك إنّ شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»⁽³⁾، وكذا

(1) - نفسه، ص ن.

(*) - الأسنان (العليا أو السفلى).

(2) - سيبويه: الكتاب، ج 4، صص 433، 434.

(3) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 47.

في مخرج "اللام" حين يقول: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»⁽¹⁾.

3 - عند "ابن جزري" (ت/833هـ):

أما "ابن جزري" فقد حصر مخارج الأصوات في سبعة عشر مخرجا، في المقدمة التي وضعها في "علم التجويد"، ولم يختلف في تصنيفه هذا عن تحديد "سيبويه" لمخارج الحروف، غير أنه أضاف مخرجا آخر ضمّنه حروف المدّ الثلاثة، وهو مخرج الجوف، يقول⁽²⁾:

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةٌ عَشْرٌ	عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنْ اخْتَبَرَ
لِلْجَوْفِ: أَلِفٌ وَأَخْتَاهَا، وَهِيَ	حُرُوفٌ مَدٌّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي
ثُمَّ لِأَقْصَى الْحَلْقِ: هَمْزٌ هَاءٌ	وَمِنْ وَسْطِهِ: فَعَيْنٌ حَاءٌ
أَدْنَاهُ: عَيْنٌ خَاوُهَا، وَالْقَافُ	أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقُ، ثُمَّ الْكَافُ
أَسْفَلُ، وَالْوَسْطُ: فَجِيمُ الشَّيْنِ يَا	وَالضَّادُ: مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا
الْأَضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا	وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا
وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتَ اجْعَلُوا	وَالرَّاءُ: يُدَانِيهِ لَطَهْرٌ أَدْخَلَ
وَالطَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا: مِنْهُ وَمَنْ	عُلْيَا الثَّنَايَا، وَالصَّفِيرُ: مُسْتَكِرٌّ
مِنْهُ وَمَنْ فَوْقَ الثَّنَايَا السُّفْلَى	وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا: لِلْعُلْيَا
مِنْ طَرَفَيْهِمَا، وَمَنْ بَطْنِ الشَّقَةِ	فَالْقَا مَعَ أَطْرَافِ الثَّنَايَا الْمَشْرِفَةِ
لِلشَّقَتَيْنِ: الْوَاوُ بَاءٌ مِيَمٌ	وَعُتَّةٌ: مَخْرَجُهَا الْحَيْشُومُ.

إذا أردنا أن نشرح هذا النظم، قلنا: إنّ "ابن جزري" قد جعل للأصوات العربية سبعة عشر مخرجا، كان الجوف أول هذه المخارج؛ وهو مخرج للألف وأختها؛ أي "الواو والياء" المدّيتان، ثمّ قسّم مخرج الحلق كما قسّمه سابقه إلى ثلاثة أقسام؛ فجعل أقصاه: مخرج "الهمزة والهاء"، ووسطه: مخرج "العين والحاء"، وجعل للسان أقساما أيضا، فجعل أقصاه "لللقاف"، وما فوقه من الحنك الأعلى، وأسفله "للكاف"، أما أدناه فكان مخرج "الغين والحاء"، وجعل للسان أقساما أيضا، فجعل الشين والياء، و"الضاد" مخرجها حافة اللسان عند محاذاته للأضراس من جانبيهما الأيمن والأيسر، وحافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان هو مخرج "اللام"، وبمشاركة طرف اللسان مع ما فوق الثنايا ينتج صوت "النون"، وحينما يكون طرف اللسان مائلا على ظهره يكون حرف "الراء"، أما "الطاء والذال والتاء" فيتمّ إنتاجهم حينما يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا،

(1) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 47.

(2) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، صص 1، 2.

والتي هي نقطة التقاء الشايات العليا بالثثة، أما أصوات "الزاي والسين والصاد" وهي ما عبّر عنها "ابن جزري" في النظم السابق بكلمة (الصّفير)، فتصدر حينما يعتمد طرف اللسان على فوق الشايات السفلى، وإذا كان معتمدا على الشايات العليا من جانبيها الأيمن أو الأيسر، أو كلاهما معا نتج "الظاء والذال والثاء". ولباطن الشقّة السفلى مع أطراف الشايات العليا دور في إحداث صوت "الفاء"، أما حينما تنطبق الشقّة العليا مع السفلى فإنّه يتمّ إصدار ثلاثة أصوات هي: "الباء والميم والواو"، والخيشوم مصدر الغنة لصوتين اثنين هما: "النون والميم" الساكنتين.

المطلب الثاني: مخارج الحروف عند علماء الأصوات المحدثين:

يكاد يجمع علماء اللغة العربية المحدثون على أنّ مخارج الأصوات العربية الفصحى عشرة مخارج، يقوم بإنتاجها الجهاز النطقي، وفقا لما توصّلت إليه التجارب المخبرية، والتي استعانت في وصف هذه المخارج على أجهزة حديثة، فكان هذا الوصف يتميّز بالدقّة والعلمية. وفي هذا الصدد يقول: "حاتم صالح الضّامن": «وبيننا وبين قدامى اللغويين من العرب خلاف في عدد المخارج للأصوات العربية، وفي تحديد مخارج بعض الأصوات، فعندنا الآن أنّ: 1 - الأصوات الشفوية هي: ب م و، 2 - والشفوية الأسنانية هي: ف، 3 - والأسنانية هي: ذ ظ ث 4 - والأسنانية اللثوية هي: د ض ت ط ز س ص، 5 - واللثوية هي: ل ر ن، 6 - والغارية هي: ش ج ي، 7 - والطبقية هي: ك غ خ، 8 - واللهوية هي: ق، 9 - والحلقية هي: ع ح، 10 - والحنجرية هي: ء هـ، هذا هو رأي المحدثين من علماء الأصوات، في مخارج الأصوات العربية الفصحى مؤسسا على نتائج التجارب الصوتية في المعامل وغيرها»⁽¹⁾.

فالمخرج الأول يتمّ إنتاج الأصوات التي تدرج ضمنه بانطباق الشفتين (الشقّة العليا و الشقّة السفلى)، والمخرج الثاني باعتماد الأسنان العليا على الشقّة السفلى، والمخرج الثالث باشتراك الأسنان مع طرف اللسان، في حين يجتمع كل من الأسنان واللثة مع طرف اللسان ومقدّمه في إصدار الأصوات السبعة التي تدرج تحت الحيز الرابع، أما أصوات المخرج الخامس فيشارك في إنتاجها اللثة وطرف اللسان، أما أصوات المخرج السادس فيشارك في إنتاجها الغار (الحنك الصلب) مع مقدّم اللسان، أما مشاركة الطبقة (الحنك اللين) ومؤخر اللسان فينتجان أصوات المخرج السابع، وبمشاركة اللهاة ومؤخر اللسان يتمّ إنتاج الصوت اللهوي الوحيد في العربية، وهو "القاف" والذي أدرجه المحدثون في المخرج الثامن، أما "العين والحاء" المندرجة ضمن المخرج التاسع تتحرّك في إحداثها تجاوبف الحلق، أما "الهاء والهمزة" فيكونان للصوتين والحنجرة الدور الأساس في إصدار هذين الصوتين.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والخلاف بين علماء الأصوات القدامى والمحدثين:

يمكن إبراز أهمّ مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء الأصوات القدامى فيما بينهم، وبين المحدثين في النقاط التالية:

(1) - حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، ص 170.

- 1 - استعمل قدامى الصوتيين مصطلح "الحرف" للدلالة على "الصوت"، على عكس المحدثين من علماء الأصوات الذين اعتمدوا على مصطلح "الصوت" للدلالة على النفس الصاعد من الرئتين.
- 2 - اقتصى كل من "سيبويه" و"ابن جني" وغيرهم من اللغويين أثر "الخليل"، الذي اعتمد في تصنيف الأصوات العربية على الأساس الصوتي، مخالفين له في عدد المخارج الصوتية، وكذا نسبة بعض الأصوات إلى مدارجها.
- 3 - وُفّق "الخليل" في إدراج الصوائت في حيز واحد، وهو حيز الجوف أو كما يصطلح عليه "الأصوات الهوائية"، لعدم وجود أي اعتراض لها أثناء خروجها، غير أنه جعل "الهمزة" هوائية هي الأخرى، وفي ذلك خلط بين الصوامت والصوائت، شأنه في ذلك شأن من جاء بعده أمثال: "سيبويه" من سار على نهجه، والذي نجده هو الآخر يضم "ألف المد" مع "الهمزة" و"الهاء" في مخرج أقصى الحلق، وهذا الأمر لا يستقيم؛ فـ "الألف" من الحركات التي لا مخرج لها، بل يخرج الهواء أثناء النطق بها حرًا طليقا دون أن يكون هناك حاجز يعوق مساره.
- 4 - اتفق "الخليل" مع من جاء بعده من علماء الأصوات (سيبويه، ابن جني، ابن جزري،...) في وصف أربع مخارج فقط، وهي كما في اصطلاح "الخليل": الحروف الأسلية (ص س ز)، الحروف النطعية (ط د ت)، الحروف اللثوية (ر ل ن)، والحروف الشفوية (ف ب م)، أما بقية المخارج فكان "الخليل" مجملا فيها، في حين كان غيره مفصّلا.
- 5 - جعل "الخليل" مخرج الحلق الخمسة حروف مرتبة ترتيبا صوتيا بعضها أدخل من بعض وهي: (ع ح ه خ غ) بهذا الترتيب، في حين جعلها "سيبويه" و"ابن جني" وغيرهما على ثلاثة أقسام: "الهمزة والهاء وألف المد" لأقصى الحلق، "العين والحاء" لأوسطه، أما: "العين والحاء" فلأدناه.
- 6 - اختلف "سيبويه" مع "ابن جزري" في مخرج "التجويف الأنفي"، أو ما يعرف بـ: "الخيشوم"؛ ففي حين جعله الأول مخرج "للنون الخفيفة"، جعله الآخر مخرجا لـ "النون والميم الخفيفتين" (الساكنتين).
- 7 - كما اختلف معه في مخرج أصوات الصغير (ص س ز)، حيث كان أدقّ فيه من وصف "سيبويه" له، فبينما جعله هذا الأخير من طرف اللسان مع ما فوق الثنايا، فصّل "ابن جزري" أكثر وجعلها من طرف اللسان مع ما فوق الثنايا السفلى، كما فصّل كذلك في مخرج "الضاد" الذي جعلها تخرج من الحافة الخلفية للسان عند محاذاة الأضراس من الجانب الأيسر أو الجانب الأيمن، وليس من الجانبين معا، كما ذكر ذلك "سيبويه" في الوصف السابق ذكره.
- 8 - جعل القدماء "الهاء" و"الهمزة" من أقصى الحلق عدا "ابن سينا" الذي جعلها من الحنجرة، وهو في ذلك يتفق مع علماء الأصوات المحدثين. يقول: «أما الهمزة فإنّها تحدث من حفز^(*) قويّ من الحجاب، وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة^(**) الطّهرجالي^(***) الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء، ثمّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعَضَلِ الفاتِحَةِ وضغط الهواء معا⁽¹⁾».

(*) - معناه الميل، ودفع من أسفل إلى أعلى.

(**) - يقاوم الوتران الصوتيان خروج الهواء أسفلهما، وقد التصق لغلغلة فتحة الحنجرة التي بينهما.

9 - بدأ القدماء بالحروف الحلقية وانتهوا إلى الحروف الشفوية، على عكس المحدثين الذين ابتدؤوا بالأصوات الشفوية وانتهوا إلى الأصوات الحنجرية. يقول "عبد القادر عبد الجليل": «إنّ متّجه القوم في عملية الترتيب الصوتي متّجه تصاعدي؛ أي أنّه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين، في حين أنّ رؤية المحدثين للتوزيع الصوتي رؤية تنازلية؛ أي أنّهم يبتدئون من الشفتين إلى أقصى الحلق»⁽²⁾.

10 - اختلف علماء الأصوات في تحديد مخارج الحروف عددا، جعلها "الخليل": ثمانية مخارج، و"سيبويه" و"ابن جني": ستة عشر مخرجا، و"ابن جزري": سبعة عشر مخرجا. في حين جعلها المحدثين عشرة أو إحدى عشرة مخرجا، وذلك بإضافة المخرج "الغاري الطبقي" المسؤول عن إصدار "الألف المدية" عند قلّة من اللغويين المحدثين، ويعود سبب هذا الاختلاف أساسا إلى الإجمال في المخرج عند بعضهم، والتفصيل الدقيق عند البعض الآخر.

11 - يشبه تقسيم "سيبويه" للأصوات الحلقية إلى حدّ بعيد تقسيم المحدثين لها، فقد استطاع "سيبويه" أن يصف الأصوات الحلقية وصفا دقيقا، وذلك بتقسيمه لها - كما ذكرنا - إلى ثلاثة أقسام يماثل آراء المحدثين في هذا الاتجاه، فخصّص "الهمزة والألف والهاء" لأقصى الحلق وهو منطقة الحنجرة عند المحدثين، وجعل وسط الحلق "للعين والحاء" وهو منطقة الحلق عند المحدثين، في حين كان أدنى الحلق "للغين والحاء" وهو منطقة الطبق عند علماء الأصوات المحدثين، وهذا يعني أنّ المحدثين يضعون "الغين" و"الحاء" قبل "القاف"، ويعتبرونها من الأصوات الطبقية نقيض القدماء الذين يجعلون أدنى الحلق قبل "القاف"، وهذا الوصف الدقيق للمخارج الصوتية تمكّن من التوصل إليه دون آلية حديثة كما ذكرنا سالفًا.

12 - جمع المحدثون صوت "الضاد" مع الأصوات الأسنان الثنوية، في حين جعلها القدماء في كلّ مرّة تخرج بطريقة مغايرة للأخرى.

13 - جمع المحدثون الأصوات: (الضاد، الدال، الطاء، التاء، الزاي، السين والصاد) في مخرج واحد، وهو المخرج: الأسناني الثنوي، في حين فصل فيها "سيبويه" ومن بعده، فجعل "للضاد" مخرجا خاصا، و"للدال والطاء والتاء" مخرجا خاصا، ولأصوات الصفير الثلاثة "الزاي والسين والصاد" مخرجا خاصا أيضا.

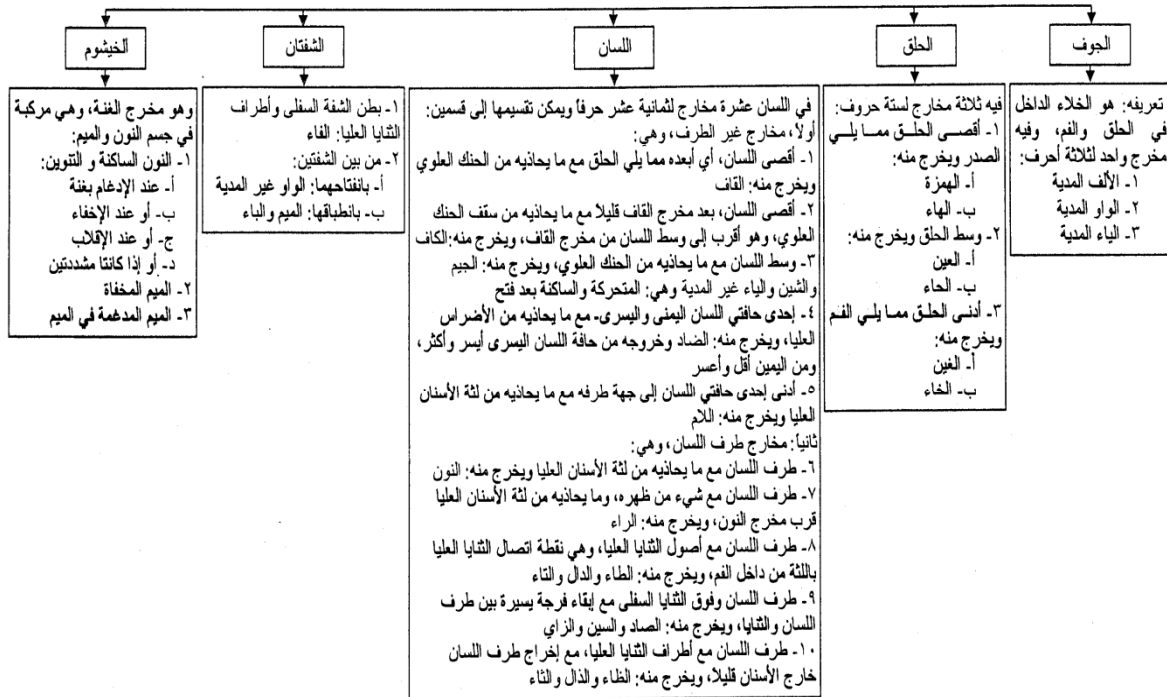
14 - حدّد القدماء مخرج "التجويف الأنفي" المسؤول عن إصدار صوتي: "النون والميم الساكنتين"، وذلك على خلاف بينهما كما أسلفنا، أمّا المحدثون فلم يشيروا إليه، بحسب علمنا وإطلاعنا.

15 - اتّفق علماء الأصوات قديمهم وحديثهم على تحديد مخارج الأصوات الشفوية.

(***) - هو غضروف بالحنجرة، إلى جانب الغضروف الدرقي، وكذا الذي لا اسم له... لمزيد من التوسع: ينظر: ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص58.

المطلب الرابع: مخطط مختصر لمخارج الحروف في اللغة العربية:
يوضح المخطط التالي المخارج العامة للأصوات العربية، وما يتفرع عنها من مخارج خاصة كما يلي⁽¹⁾:

(1) - عماد علي جمعة: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ / 2004م، ص9.



المبحث الثاني: الصفات العامة والصفات الخاصة للأصوات العربية:

يقول "عمر بن ربيعة" في إحدى أبياته الشعرية:

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ⁽¹⁾

(1) - عمر بن أبي ربيعة: الديوان، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دس، ص 53.

وأنشده "علي بن الجنيد بن فريدي" قائلا:

وَاسْتَبَدَّتْ مَدَّةٌ وَاحِدَةٌ
إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ⁽¹⁾

ولو أنّ هذا الأخير كان قد أعطى للحروف حقّها ومستحقّها من المخارج والصفات، لما ألثغ في نطقه لـ: "الراء" "ذالا"، إذن فاللثغة من عيوب النطق، وهي: «تحوّل اللسان من حرف إلى حرف، فاللثغة التي تعرض للسّين تكون تاء، والتي تعرض للقاف فإنّ صاحبها يجعلها طاء، وأمّا التي تقع في اللام فمنهم من ينطقونها بـاء، ومنهم من يجعلون النطق بها كافا، والتي تقع في الراء فهي أربعة أشكال: فالأول يجعل الراء ياءً، والثاني يجعلها غينا، أمّا الثالث فذالاً، والرابع ظاءً»⁽²⁾.

ولعلّ من أهمّ الحلول التي يمكن للمتكلّم أن يتخلّص من خلالها من عيوب النطق: إخراج الحرف من مخرجه، وإعطائه ما يستحقّ من صفاته اللازمة فيه أو العارضة عنه، فأما عن المخارج فقد ذكرناها، وأمّا عن الصفات فما هو "ابن جزري" يوجزها لنا في النظم التالي⁽³⁾:

صِفَاتُهَا: جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِيلٌ	مُنْفَتِحٌ مُصَمَّتٌ، وَالضَّدُّ قُلٌّ
مَهْمُوسُهَا: فَحْتُهُ شَخْصٌ سَكَّتْ	شَدِيدُهَا لَفْظٌ: أَحَدٌ قَطٍ بَكَتْ
وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ: لِنْ عُمُرٌ	وَسَبْعُ غُلْوٍ: خُصَّ ضَعْفٌ قِظٌ حَصَرٌ
وَصَادُ ضَادٌ طَاءٌ ظَاءٌ: مُطَبَّقَةٌ	وَفَرٌّ مِنْ لَبٍّ: الْحُرُوفُ الْمَذْكُورَةُ
صَفِيرُهَا: صَادٌ وَزَائِي سِينٌ	قَلْقَلَةٌ: قُطْبٌ جَدٌّ، وَاللَّيْنُ
وَإِوَاءٌ وَسُكْنٌ، وَإِنْفَتَاحٌ	قَبْلَهُمَا، وَالْإِنْجَرَفُ: صُحْحَا
فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ، وَبِتَكْرِيرِ جُعْلٍ	وَلِلتَّفَشِّي: الشَّيْنُ، ضَادًا: اسْتِطْلُ

وفي هذا النظم إشارة إلى الصفات العامة التي يشترك فيها مجموعة من الأصوات، بنوعيتها: اللازمة والعرضية، كما اشتمل على الصفات الخاصة بصوت دون آخر، والتي تقتصر في أغلب الأحيان على الصفات العرضية دون اللازمة.

المطلب الأول: الصفات الصوتية اللازمة

تنقسم الصفات الذاتية (الثابتة) بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له ضدّ وهو خمس صفات ضدّ خمس، وآخر لا ضدّ له، وهو سبع صفات.

(1) - ينظر: أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، تح: موقّق شهاب الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1424هـ / 2003م، ص 32.

(2) - محمّد كريم الكوّاز: الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 143.

(3) - ابن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، صص 2، 3.

فالصفات الخمس المتضادة هي: الجهر وضده الهمس، الشدة وضدها الرخاوة، الاستعلاء وضده الاستفال الإطباق وضده الانفتاح، الإذلاق وضده الإصمات، فتلك عشر صفات، والصفات التي لا ضد لها سبعة وهي: الصّفير، القلقلة، اللّين، الانحراف، التكرير، التنفّسي والاستطالة.

فتكون جملة الصفات سبعة عشر صفة، وعلى هذا الأساس لا يكون التوسط بين الشدة والرخاوة صفة - على الرغم من ذكرها في النظم السابق - وهذا هو مذهب "ابن جزري" ومن هذا حذوه، ثم إن كل حرف من حروف الهجاء لا بد أن يتّصف بخمس صفات من العشر المتضادة؛ وذلك بأن يأخذ صفة واحدة فقط من كل صفتين متضادتين، فلا يمكن أن يأخذ الحرف صفتين متضادتين معا، كأن يكون الحرف مجهورا مهموسا في آن واحد، أما غير المتضادة فقد يتّصف منها بواحدة، وقد يتّصف بصفتين، وقد لا يتّصف منها بشيء، فحينئذ لا تقلّ صفات أي حرف عن خمس صفات ولا تزيد عن سبع.

أولا: الصفات المتضادة في العربية:

1 - الجهر والهمس:

أ/ تعريفهما في اللغة:

* الجهر لغة:

جاء في "لسان العرب" في تفسير مادة "جَهَرَ": باب الرء فصل الجيم: «الجَهْرَةُ: مَا ظَهَرَ، وَرَأَهُ جَهْرَةً: لم يكن بينهما سِتْرٌ (...). يقال: جَهَرَ بالقول: إذا رفع به صوته فهو جَهِيْرٌ (...). وجَهَرَ الشيء: عَلَنَ وَبَدَأَ (...). والجهر: العلانية (...). وأمر جُهِرٌ: أي واضح بَيِّنٌ (...). ورجل جُهِرٌ بكسر الميم: إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه ...»⁽¹⁾. إذن فالجهر في اللغة: الإعلان والظهور، والصوت القويّ الشديد الوضوح.

* الهمس لغة:

ورد في "اللسان" في تفسير مادة "هَمَسَ": باب السين، فصل الهاء: «الهَمْسُ: الخفيّ من الصوت والوطء والأكل (...). ويقال: هَمَسَ وصَه؛ أي امشِ خَفِيًّا واسكت (...). والهمس: الكلام الخفيّ لا يكاد يفهم (...). قال شَمْرٌ: الهَمْسُ من الصوت والكلام ما لا غور له في الصدر، وهو ما همس في الفم (...). وتُسمى الأسد هُمُوسًا لأنّه يَهْمِسُ هَمْسًا؛ أي يمشي مشيًا بخفية، فلا يُسْمَعُ صوت وطئه...»⁽²⁾.

وعليه فإنّ الهمس في معناه اللغوي يدل على الستر والخفاء في كلّ شيء.

ب/ تعريفهما في الاصطلاح:

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة جَهَرَ.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة هَمَسَ.

يعرفهما "ابن جني" بقوله: «الصوت المجهور حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه، ومُنِعَ النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت، والمهموس حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس»⁽¹⁾.

يتضح من خلال هذا التعريف الذي أتى به "ابن جني" الأساس المعتمد للتمييز بين الجهر وبين المهمس، وهو وضع الوتران الصوتيان، ففي حالة تقاربهما أو التقائهما، فإنّ الهواء الصاعد من الرئتين عبرهما يساهم في تذبذبهما ممّا يُصدر ذلك صوتاً مسموعاً، وهذا ما يقصده "ابن جني" بكلمة: الاعتماد، والذي لا يجري معه النفس إلّا إذا انقضى (انفراج الوترين)، أمّا إذا مرّ الهواء دون أن يحدث ذبذبة على مستوى الوترين الصوتيين نتيجة تباعدتهما سُمع حينها صوت مهموس، وهذا هو المقصود بـ "ضعف الاعتماد"، والذي يسمح بجران النفس دون عائق يكون هنالك.

ج/ حروفهما:

لقد اختلف القدماء والمحدثون في تحديد حروف الجهر والمهمس؛ إذ جعل القدماء للجهر 19 حرفاً، وللهمس عشرة أحرف. يقول "ابن جني": «اعلم أنّ للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات، فمن ذلك انقسامها في الجهر والمهمس، وهي على ضربين: مجهور ومهموس، فالمهموسة عشرة أحرف وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والياء والفاء، ويجمعها في اللفظ قولك: "ستشحتك خصفه"، وباقي الحروف وهي تسعة عشر حرفاً مجهور»⁽²⁾.

ويحددها "سيبويه" قائلاً: «فأما المجهورة فالهمزة، والألف والعين والغين، والقاف والجيم والياء، والضاد واللام والنون، والراء والطاء، والذال والزاوي والظاء والذال، والباء والميم والواو، فذلك تسعة عشر حرفاً»⁽³⁾.

أمّا المحدثين فجعلوا للهمس اثني عشر وحدة صوتية، وذلك بإضافة صوتي "الطاء" و"القاف" المجهورتان عند القدماء لتصبح الأصوات المهموسة هي: ف/ث/ت/ط/س/ص/ش/ك/خ/ق/ح/ه/، مجموعة في قولهم: "فحثه شخص سكت" + "القاف والطاء". أمّا الأصوات المجهورة فهي: 15 وحدة صوتية بعد استبعاد حروف المهمس وهي: ب/م/ذ/ظ/د/ز/ض/ن/ل/ر/ي/ج/غ/و/ع/، ووحدة صوتية واحدة لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة وهي: "الهمزة"، والتي اعتبرها القدماء كـ: "سيبويه" و"ابن جني" من أصوات الجهر، يقول: "عبد القادر عبد الجليل": «لقد وصف القدماء صوت الهمزة بأنّه من الأصوات المجهورة، بناء على اعتقادهم في شدة الحبسة الهوائية المصاحبة لإنتاج هذا الصوت ولا حرج ولا تشريب عليهم، بيد أنّ التجارب الحديثة برهنت على أنّ صوت الهمزة من الأصوات اللازمجة واللامهموسة»⁽⁴⁾.

(1) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج 1، ص 60.

(2) - المصدر نفسه، ص ن.

(3) - سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 434.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 125.

وعليه فإنّ الوتران الصوتيان أثناء حدوث صوت "الهمزة"، لا يكونان لا في حالة التقارب (الجهر)، ولا في حالة التباعد (الهمس)، وإنما يتخذان وضعية وسطى.

وأصوات العربية بعضها مجهور ولا نظير له من المهموس، وبعضها مهموس ولا نظير مجهور له، والبعض الآخر أزواج من مجهور ومهموس، فمن الأول: أصوات: الباء، الجيم، الراء، اللام، الميم، النون، الواو، الياء والطاء ومن الآخر: الشين، الصاد، الفاء، القاف، الكاف والهاء، ومن الثالث: التاء، الدال، الذال، الحاء، العين، الخاء الغين، السين، الزاي، الضاد والطاء، وأما الهمزة فهي لا مهموسة ولا مجهورة⁽¹⁾.

وقد تتفاوت الحروف في الجهر والهمس، «فبعض المجهورة أجهر من بعض، وبعض المهموسة أهدس من بعض والذوق يُعرفك ذلك»⁽²⁾.

د/ طرق معرفة الصوت المجهور:

ذكر "إبراهيم أنيس" ثلاثة تجارب لاختبار جهر الصوت، هي⁽³⁾:

1 - حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم، ثم ننطق بصوت من الأصوات وهو ساكن مثل «ب» نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورا لا يحتمل الشك.

2 - وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثم ننطق بنفس الصوت وهو ساكن، نحس برنة الصوت في رؤوسنا.

3 - والتجربة الثالثة: هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار، فيحس برنين الصوت، وكذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

2 - الشدة والرخاوة:

تُصنّف أصوات العربية في التراث الصوتي العربي، وذلك بالنظر إلى درجة اعتراض الهواء (النفس الصاعد من الرئتين) إلى ثلاثة أنواع:

* الشديدة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الانفجارية، ولها تسميات أخرى مثل: الأصوات المؤقتة أو الآنية أو اللحظية أو الوقفية...

* الرخوة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الاحتكاكية.

* المتوسطة؛ أي بين الشديدة والرخوة، وتسمّى كذلك بالبينية أو المائعة أو السائلة، وفيما يأتي تفصيل في هذه الأنواع:

* الأصوات الشديدة/ الانفجارية:

أ/ تعريفها في اللغة:

(1) - المرجع نفسه، ص 123.

(2) - الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص 172.

(3) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة تحضة مصر، مصر، دط، دس، صص 21، 22.

جاء في تفسير مادة "شَدَدَ": «الشِدَّة بالكسر: اسم من الإشداد، وبالفتح: الحملة في الحرب، والشَّدُّ: العَدُو، وفي النَّار: ارتفاعها، والتقوية والإيثاق، واشتَدَّ: عَدَا (...)، والشَّدِيدُ: الشَّعَاعُ والبخيل والأسد (...)»، وأَشَدُّ إِشْدَادًا: إذا كانت معه دابة شديدة...»⁽¹⁾. وعليه فإنَّ كلَّ شيء فيه قوَّة وشجاعة ومتانة فهو شديد، وسمَّيت الحرب بالشدَّة لما فيها من قوة وبسالة وشجاعة.

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

عرَّف "ابن جني" الصوت الشديد بقوله: «هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه»⁽²⁾، وإلى نفس الاتجاه يذهب "سيبويه"، ومعنى هذا الكلام أنَّ اعتراض الهواء عند النطق بالأصوات الانفجارية يكون اعتراضا تامًا، بحيث لا يُسمح بمرور الهواء الصاعد من الرئتين بالمرور بسبب انطباق العضوين المسؤولين عن إصدار ذلك الصوت فترة من الزمن، ثمَّ بعد ذلك يحدث انفراج مفاجئ للعضوين، فيندفع الهواء المحبوس فيما دونهما بقوة محدثا صوتا انفجاريا.

من هنا يمكن القول بأنَّ الأصوات الشديدة (الانفجارية) إنّما تتكوّن من اجتماع أمرين: «فأما الأوّل: فهو حبس النفس الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع ما من آلة النطق، فينضغط الهواء خلف ذلك الموضع، والثاني: إطلاق النفس المضغوط بانفصال العضوين انفصالا سريعا، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا»⁽³⁾. ويمكن تلخيص هذا الكلام في الترسّمة التالية:

الحبس التام (قطع النفس) ← زوال الاعتراض (العائق) ← اندفاع الهواء (الانفجار)

ج/ حروف الانفجار:

اختلف اللغويون القدماء والمحدثون في تحديد عدد الأصوات الشديدة، فبينما هي عند علماء العربية القدماء: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء والتاء مجموعة في قولهم (أجدت قطبك) أو (أجدك قطبت)، فهي عند علماء الدرس الصوتي الحديث كما برهنت عليه التجارب المخبرية: الباء، الدال، التاء، الطاء الضاد، الكاف، القاف والهمزة⁽⁴⁾؛ أي أنّها نفسها مع بعض الفروق؛ فالجيم مثلا عند القدماء صوت شديد، أمّا عند المحدثين فهي من الأصوات المتوسطة، وصوت الضاد عند القدماء رخو، أمّا عند المحدثين فشديد.

ويوضّح "عبد القادر عبد الجليل" موضع الاعتراض في الأصوات الانفجارية كما يلي⁽⁵⁾:

* الشفتان: حيث تنطبق بشكل تام، وفيهما ينتج صوت "الباء".

(1) - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة شَدَدَ.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 60.

(3) - غانم قدّوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1425هـ / 2004م، ص 108.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 150.

(5) - المرجع نفسه، ص 143.

* الأسنان العليا ومقدمة اللثة: حين التقاء طرف اللسان بها، وفي هذا الموضع تتكوّن الأصوات: "التاء"، "الذال" "الضاد" و"الطاء".

* أقصى الحنك الأعلى (السقف العلوي للفم) حين يلتقي به أقصى اللسان، وعند هذا الموضع يتكوّن صوت "الكاف".

* أدنى الحلق مع اللهاة: حين يلتقي بها أقصى اللسان، وفي هذا الموضع يتكوّن صوت "القاف".

* الحنجرة (انطباق الوترين الصوتيين)، وعند هذا الموضع تتولّد "الهمزة" القطعية.

د/ الطريقة العملية لمعرفة الصوت الانفجاري:

يقدم الباحث "محمود عكاشة" في كتابه "أصوات اللغة" الكيفية التي نتمكن من خلالها معرفة الصوت الانفجاري، وتمييزه من الصوت الاحتكاكي، ويكون ذلك: «بوضع ورقة في الكفّ، ثمّ تقريبها من الفم، ثمّ النطق مثلا بكلمة "تكلم"، حينها ستلاحظ أنّ الورقة تحركت قليلا بسبب نفخة الهواء التي صاحبت نطق صوت "الكاف" في الكلمة السابقة»⁽¹⁾.

* الأصوات الرخوة/ الاحتكاكية:

أ/ تعريفها في اللغة:

ورد في "المعجم الوسيط" في بيان تفسير مادة "رَخَوُ": «رَخَا العيش وغيره رَخَاءً: اتَّسع فهو رَخْوٌ (...) الرَخَاءُ: سعة العيش وحسن الحال (...)، وَالرَّخَاءُ: الريح اللَّيِّنة (...)، وَالرَّخو: الهشّ اللَّيِّن من كلّ شيء...»⁽²⁾. إذن فالرخاوة في اللغة تحيل على معنى: الليونة والهشاشة والرطوبة.

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

عرّف "ابن جني" الصوت الرخو بقوله: «هو الذي يجري فيه الصوت...»⁽³⁾.

وفهم من خلال هذا التعريف أنّ الصوت الذي يوصف بالرخاوة، أو كما يسمّى كذلك بالاحتكاك، أنّ النفس فيه يكون مستمرا دون انقطاع لعدم وجود اعتراض تام له (أي اعتراضه جزئي) في موضع النطق، ممّا يُسمح بالقول بأنّ الأصوات الاحتكاكية إنّما تتشكّل بأنّ يُضَيَّق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، ويمرّ من خلال منفذ ضيّق نسبيا، محدثا في خروجه احتكاكا جانبيا مسموعا.

ج/ حروف الاحتكاك:

(1) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 100.

(2) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة رَخَوُ/ رَخَا.

(3) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج 1، ص 62.

اختلف اللغويون في الحروف الاحتكاكية شأنهم في ذلك شأن اختلافهم في الحروف الانفجارية، فقد اتفقوا في عددها واختلفوا في بعض الحروف، ولا سيما "العين" و"الضاد"؛ إذ استبعد القدامى صوت "العين" لأنهم وصفوه بالتوسط، فهو بهذا عند علماء الدرس الصوتي القديم بين الشدة والرخاوة، يقول "سيبويه": «...وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردد فيها لِشَبْهَها بِالْحَاءِ»⁽¹⁾، ويشاطره الرأي "أبو عمرو الداني"، حيث نجده يذهب مذهب "سيبويه" في تصنيفه للأصوات الرخوة مستبعدا صوت العين، يقول: «الأصوات الرخوة ثلاثة عشر صوتا يجمعها قولك: خس حظ شص هز ضعت فذ»⁽²⁾.

وإلى نفس الاتجاه ذهب "إبراهيم أنيس" على الرغم من أنه من المحدثين، فقد رتب في كتابه "الأصوات اللغوية": الأصوات الاحتكاكية حسب درجة رخاوتها مستبعدا في ترتيبه صوت العين، يقول: «والأصوات الرخوة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة مرتبة حسب نسبة رخاوتها: س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ، غ»⁽³⁾.

غير أن "إبراهيم أنيس" قد استبعد صوت "الضاد" من حروف الاحتكاك، لأن الضاد صوت انفجاري في المنظور الحديث، في حين أنه صوت رخو عند القدامى فيكون بهذا قد حصر الأصوات الاحتكاكية في "اثني عشر" صوتا، متفقا مع القدامى في استبعاده لصوت "العين"، ومختلفا معهم - في الوقت ذاته - في استبعاده لصوت "الضاد". وفي العموم، فإن الأصوات الاحتكاكية في الدرس الصوتي الحديث: 13 صوتا وهي: ف/ذ/ث/ظ/ز/س/ص/ش/خ/غ/ع/ح/هـ/، وذلك باستبعاد صوت "الضاد" الانفجاري، وإضافة صوت "العين" الاحتكاكي.

* الأصوات المتوسطة/ المائعة:

يعرف "صلاح صالح سيف" التوسط فيقول: «اعتدال جريان الصوت مع الحرف بعدم انحباسه، وهو بين الشدة والرخاوة؛ أي فلا ينحبس الصوت كما في الشدة، ولا يجري كجريانه في الرخاوة»⁽⁴⁾. وقد حصر علماء الأصوات المحدثين أصوات التوسط في أربعة وهي: (اللام والنون والميم والراء)، وأضاف إليها القدامى صوت "العين"، وعدّوه صوتا متوسطا أيضا.

ويمكن أن نقسم الأصوات المائعة بحسب طريقة خروجها، والأعضاء المشاركة في تشكيلها إلى ثلاثة أقسام، هي⁽⁵⁾:

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص435.

(2) - أبو عمرو بن سعيد الداني الأندلسي: التحديد في الإتيان والتجويد، تح: غانم قذوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 1421هـ/ 2000م، ص106.

(3) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص26.

(4) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص69.

(5) - ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص145، 146.

- 1 - الأصوات الجانية أو المنحرفة أو الحافية، ويمثل هذا القسم في العربية صوت: "اللام".
 - 2 - الأصوات المكررة أو الترددية، ويمثل العربية الفصحى في هذه المجموعة صوت: "الراء".
 - 3 - الأصوات الأنفية أو الغنّاء: ويمثل صوتا "الميم" و"النون" العربيتين هذه المجموعة الصوتية.
- وسأتي فيما بعد - إن شاء الله - تفصيل وصفي لهذه الأصوات.

ونختم هاتين الصفتين بقول "ابن جزري"، الذي يجمع فيه بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة والأصوات المتوسطة، فيقول: «المتوسطة بين الشدة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: "لن عمر"، وأضاف بعضهم إليها "الياء" و"الواو"، والمهموسة كلّها غير التاء والكاف رخوة، والمجهورة الرخوة خمسة: الغين والضاد والطاء والذال المعجمات والراء، والمجهورة الشديدة يجمعها قولك: "طبق أحد"»⁽¹⁾.

3 - الإطباق والانفتاح:

* الإطباق:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "طَبَقَ": «الطَبَقُ: غطاء كلّ شيء، والجمع أطباق، وقد أَطْبَقَهُ وَطَبَّقَهُ فَانْطَبَقَ وَتَطَبَّقَ: غَطَّاهُ وجعله مُطَبَّقًا (...)، والطَبَقُ: كلّ غطاء لازم على الشيء (...)»، والسّموات الطَّبَّاقُ: سَمَّيتَ بذلك لمطابقة بعضها بعضاً؛ أي بعضها فوق بعض، وقيل لأنَّ بعضها مُطَبَّقٌ على بعض (...)، وَطَبَّقَ الغيث الأرض: مَلَأَهَا وَعَمَّهَا...»⁽²⁾، وعليه فإنَّ الإطباق في اللغة يعني الإلصاق.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يقول "ابن جني" في الإطباق: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطَبَّقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والطاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنَّه ليس من موضعها شيء غيرها نزول الضاد إذا عدت الإطباق إليه»⁽³⁾. إذن فالإطباق صفة من الصفات المميّزة بين الأصوات التي تشترك في أكثر من صفة، فلولا الإطباق مثلاً لكانت "الطاء" "دالا" لاشتراكهما في الجهر والشدة والإصمات والقلقلة، وقس على ذلك مع باقي أصوات الإطباق.

وقد شاع عند الدارسين المحدثين أن الإطباق هو: «ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقعّر وسط اللسان»⁽⁴⁾، أو هو: «ظاهرة يرتفع فيها مؤخّر اللسان إلى الحنك الأعلى، آخذاً شكلاً مقعراً ممّا يزيد من حجم تجويف الفم، ويضيّق من حجم تجويف الحلق أثناء إخراج الصوت فيسمع الصوت مفخّماً، والأصوات المطبقة أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والطاء»⁽²⁾.

(1) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص202.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج5، مادة طَبَقَ.

(3) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص61.

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات التي سقناها، أنه لا خلاف بين قدامى الصوتيين والمحدثين في الأصوات المطبقة عددا وحروفا.

يشير "فوزي الشايب" إلى أيّ الأصوات المطبقة أطبق من الأخرى، فيقول: «الطاء أقوى الأصوات المطبقة إطباقا، وذلك بسبب انطباق اللسان على الحنك انطباقا تاما، تليها في قوة الإطباق الضاد، ثم الصاد، وتأتي الطاء في آخر القائمة، فهي أضعف الأربعة إطباقا»⁽³⁾.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ المقصود بالإطباق غير الطبق، فمصطلح الإطباق يختلف في معناه عن مصطلح الطبق؛ إذ أنّ: «الأول يشير إلى الصفة التي تحدثنا عنها، والثاني يشير إلى المخرج وهو الجزء اللّين من الحنك الأعلى، حيث مخرج الكاف والغين والحاء، فهذه الأصوات هي أصوات طبقية، ولكنها ليست مطبقة»⁽⁴⁾. ف: "العين" مثلا في الفصحى صوت طبقى؛ بمعنى أنّ مخرجها من منطقة الطبق ولكنه ليس صوت مطبق، على عكس "الطاء" مثلا الذي هو صوت مطبق، ولكنه ليس صوتا طبقيا.

* الانفتاح:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "فَتَحَ": «فَتَحَ بين الخصمين فَتْحًا: قضى (...)، يُقال: فَتَحَ على القارئ: لَقْنَهُ ما نسيه فقرأه والمغلق: أزال إغلاقه (...)، وانْفَتَحَ الباب مُطَاوِعُ فَتَحَهُ، والشَّيْءُ عن الشَّيْءِ: انْكَشَفَ عنه (...)، واسْتَفْتَحَ الباب: فتحه وطلب فتحه، والْفَتَّاحُ: النَّصْرَةُ، والْفَتَّاحُ: اسم من أسمائه تعالى...»⁽⁵⁾.

وعليه فإنّ الانفتاح في كلّ شيء: الافتراق.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرفه "سيبويه" فيقول: «كلّ ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تُطَبِّقُ لشيءٍ مِنْهُنَّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»⁽⁶⁾. والمقصود بـ: "كلّ ما سوى ذلك من الحروف": أنّ حروف الانفتاح هي جميع حروف الهجاء المتبقية، بعد استبعاد حروف الإطباق الأربعة المذكورة سابقا، لأنّك أثناء النطق بهذه الأصوات يتجافى اللسان عن الحنك

(1) - محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 58.

(2) - وفاء كامل فايد: الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضغف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1422هـ / 2001م صص 18، 19.

(3) - فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 1425هـ / 2004م، ص 72.

(4) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، صص 116، 117.

(5) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة فَتَحَ.

(6) - سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 437.

ويتحاشاه، فلا ينطبق عليه تاركا المجال للهواء الصاعد - من الرئتين - منفتحا دون اعتراض تام، وعليه فإنّ الانفتاح هو: «عدم انحصار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لانفتاح ما بينهما، سواء انطبق الحنك على أقصى اللسان أم لا، وحروفه كلّ ما عدا الأربعة المطبقة، وكلّ حروف الاستفالة منفتحة»⁽¹⁾.

ويجمعها "محمد عصام مفلح القضاة" في التركيب التالي: «من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث»⁽²⁾.

4 - الاستعلاء والاستفال:

* الاستعلاء:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "عَلَوُ": «عَلَا الشيءُ عَلُوًّا: ارتفع فهو عالٍ وَعَلِيٌّ (...)»، ويقال: عَلَا فلان في الأرض: تكبّر وتَجَبَّر (...)، وَعَلَى الشيء: رفعه وجعله عاليا، واغْتَلَى الشيء: ارتفع (...)، واستَعَلَى النهار: ارتفع، وفلان تدرّج في الارتفاع (...)، والعَلَا: الرفع والشرف (...) وَعَلَى الكتاب: عنونه،...»⁽³⁾.

فالاستعلاء في معناه اللغوي هو الارتفاع والسمو.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

عرّف "ابن جني" الاستعلاء فقال: «أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها، والحروف المستعلية على هذا سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض»⁽⁴⁾.

وهذا تعريف مفصّل لصفتين متضادتين هما: الاستعلاء والاستفال، حيث بيّن "ابن جني" فيه: طبيعة اللسان أثناء النطق بالأحرف السبعة المستعلية، وطبيعته أثناء النطق ببقيّة الحروف الذي أطلق عليها مصطلح "الانخفاض" ويعني بذلك ما يعرف بالاستفال، كما أشار "ابن جني" في هذا التعريف إلى طبيعة العلاقة القائمة بين الإطباق والاستعلاء، وهي علاقة عموم وخصوص؛ ذلك أنّ كلّ مطبق مستعلٍ، وليس كلّ مستعلٍ مطبق، إذن فالاستعلاء

عام يشمل الإطباق، والإطباق أحصّ منه (علاقة احتواء).

ويقدم لنا الشيخ "محمد خليل الحصري" تفريقا آخر بين الإطباق وبين الاستعلاء، فيقول: «الاستعلاء ارتفاع

(1) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ/ 2005م ص111.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص47.

(3) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة عَلَا (عَلَوُ).

(4) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص62.

اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة جمعت في قولهم "خُصَّ ضَعُطَ قِطُّ" ^(*) ⁽¹⁾. فكلاهما فيه ارتفاع، غير أنّ الإطباق أبلغ من الاستعلاء؛ لأنّ اللسان معه يرتفع إلى الحنك الأعلى حتى ينطبق عليه كلّ أو جزءه، في حين أنّ الاستعلاء فيه ارتفاع للسان دون أن ينطبق على الحنك الأعلى.

ويحدّد "ابن جزري" أقوى الحروف استعلاء وأضعفها استغفالا فيقول: «وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلاها الطاء، كما أنّ أسفل المستغفلة الياء، وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شكّ أنّها أقواها تفخيما» ⁽²⁾، ويبدو أنّ "محمد بن إبراهيم الحمد" يخالف "ابن جزري" في أشدّ الحروف استعلاء، حيث يقول: «الاستعلاء هو أن يستعلي اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى، وحروفه سبعة (خ ص ض غ ط ق ظ) وأشدّها استعلاء القاف» ⁽³⁾، بيد أنّ "ابن جزري" في مذهبه هذا - حسب ما أراه - كان أكثر حجّة وإقناعا من مذهب "محمد بن إبراهيم الحمد"؛ بمعنى أنّ "الطاء" هي أشدّ الحروف استعلاء من غيرها، وذلك لأنّها من حروف الإطباق، بل وهي في مقدّمة حروف الإطباق لشدة التصاقها بسقف الحنك، هذا فضلا عن كونها مستعلية، فقد جمعت صفتين قويتين في الوقت ذاته، في حين أنّ "القاف" هي حرف مستعل ولا إطباق فيه.

* الاستفال

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "سَقَلَ": «سَقَلَ سُقُولًا وَسَقَالًا وَسُقَالَةً: ضَدَّ عَلَا، ويقال: سَقَلَ في الشيء: نزل من أعلاه إلى أسفله، وسَقَلَ في علمه وخُلِقَ: قَلَّ حَظُّهُ فِيهِ، فهو ساقِل (...). سَقَلَ سُقَالَةً: خَسَّ وَنَذَلَ، وَسَقَلَهُ: خَفَضَهُ وأرسله من أسفل، وَتَسَقَّلَ: انْحَطَّ...» ⁽⁴⁾. فالاستفال في اللغة بمعنى: الانخفاض.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه الشيخ "محمود خليل الحصري" قائلا: «هو انخفاض اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي ماعدا حروف الاستعلاء السبعة» ⁽⁵⁾.

إذن فالفرق بين الاستعلاء والاستفال جليّ وواضح، فالتباين بينهما قائم على ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف أو انخفاضه، فما ارتفع اللسان معه فهو مستعل، وما انخفض معه فمستفل. ونشير هنا إلى أنّه إذا كان الاستعلاء أعمّ من الإطباق، فإنّ الانفتاح

(*) - "خُصَّ": البيت من القصب، "ضَعُطَ": ضيق، "قِطُّ": فعل أمر من قاط بالمكان: إذا أقام فيه؛ والمراد: اقنع من الدنيا بمثل ذلك، ولا تغترّ بزخارفها. محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 90.

(1) - المرجع نفسه، ص ن.

(2) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج 1، صص 202، 203.

(3) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، ص 111.

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "سَقَلَ".

(5) - محمود خليل الحصري: المرجع نفسه، ص 91.

أعمّ من الاستفال؛ ذلك أنّ كلّ مستفل منفتح، وليس كلّ منفتح مستفل، لأنّ "القاف" و"العين" و"الحاء" مثلاً منفتحة، ولكنها مستعلية (غير مستفلة).

5 - الإذلاق والإصمات:

* الإذلاق:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "لسان العرب" في تفسير مادة "ذَلَقَ"؛ باب القاف فصل الذال: «الذَلَقُ: حَدُّ الشَّيْءِ، وَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ ذَلْقُهُ، وَذَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ: حَدَدْتُهُ (...).»⁽¹⁾، والذَلِيقُ: الفصيح اللسان (...). وَذَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَذَوَلُّقُهُ: طرفه...»⁽¹⁾. فالإذلاق في اللغة إذن: الطرف والحدّ.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يُعَرَّفُ "الإذلاق" بأنّه: «سرعة النطق بالحرف بسهولة ويسر لخروجه من طرف اللسان والشفافة، أو هو الاعتماد على ذلق اللسان والشفة، أو هو خروج الحرف بسهولة ويسر»⁽²⁾.

إذن فالإذلاق: هو الخفة في الكلام به بسهولة ويسر، من غير تكلفة أو ثقل يكون هنالك.

ج/ حروف الإذلاق:

حروف الإذلاق ستّة جمعها العلماء في قولهم: "فر من لب"، يقول "ابن جني": «...ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، لأنّه يُعْتَمَدُ عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه»⁽³⁾.

وهذه الحروف الستّة يقال لها كذلك: «الحروف الذلق بضمّ الذال وسكون اللام، وكذلك الحروف المذلقة، وإنّما سمّيت هذه الحروف بالذلاقة لخروج بعضها من ذلق اللسان، وبعضها من ذلق الشفتين»⁽⁴⁾.

فـ"الفاء" و"الميم" و"الباء" مخرجها من ذلق الشفة، في حين أنّ "الراء" و"النون" و"اللام" من ذلق اللسان ويؤكد هذا "حسام سعيد النعيمي" حينما عقّب على قول "ابن جني" السابق، وذلك حينما صرّح بأنّ حروف الإذلاق المذكورة سابقاً إنّما سمّيت كذلك لأنّه يُعْتَمَدُ عليها بذلق اللسان، فيقول: «وواضح أنّ ثلاثة منها يعتمد عليها حقّاً بطرف اللسان، أمّا الثلاثة الباقية فهي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها، ويبعد عندي أن يكون "ابن جني" قد غفل عن هذا، وأرى أنّه أراد التغليب؛ فكأنّهم حين وجدوا اللام والراء والنون من طرف اللسان جعلوا الاسم لها، وضمّوا إليها الفاء والميم والباء، أمّا لم غلبوا ذلق

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج5، مادة "ذَلَقَ".

(2) - السيّد أحمد عبد الغفّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، ط2، 1426هـ/2006م، ص24.

(3) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص64.

(4) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص259.

اللسان على الشفة في التسمية، فيبدو لي أنّ معنى الذلاقة في الأصل هو الذي دعا إلى ذلك، فقد جاء في "اللسان"، إنّما سمّيت هذه الحروف ذلقاً لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفّتين، وهما مدرجتا هذه الحروف الستّة»⁽¹⁾.

لايجوز الخلط بين الأحرف الذلقية مخرجا، والمذلفة صفة؛ فالأولى: لا تخرج إلّا من ذلق اللسان، أمّا الأخرى: فمنها ما يخرج من ذلق اللسان، ومنها ما يخرج من ذلق الشفة كما ذكرنا، ففي «صفة الذلاقة شمول وعموم، وفي مخرج الذلاقة تضيق وتحديد، والاتفاق في الاسم لا يوقع في اللبس عند التفرقة بين الصفة والمخرج»⁽²⁾.

* الإصمات:

أ/ الإصمات في اللغة:

ورد في "القاموس المحيط" في تفسير مادة: "صَمَت" باب التاء فصل الصاد: «الصَمْتُ والصُّمُوتُ والصُّمَاتُ: السَّكُوتُ، كالإصمات والتَّصْمِيثُ، ورماء بِصُمَاتِهِ؛ أي بما صَمَتَ منه (...)»، والمصمّت: الذي لا جوف له، وباب وَفُقْلٌ مُصَمَّتٌ: مُبْهِمٌ (...)، وثوب مُصَمَّتٌ: لا يخالط لونه لونٌ...»⁽³⁾.

فالإصمات في اللغة: المنبع، يقال: صمت فلان؛ أي سكت ومنع نفسه من الكلام...

ب/ الإصمات في الاصطلاح:

هو: «ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدا عن طرف اللسان والشفّتين، أو هو امتناع الحروف المصمتة عن أن تختصّ ببناء كلمة في لغة العرب، وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي الحروف المتبقّية من حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الإذلاق»⁽⁴⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّه لا توجد في العربية كلمات مكوّنة من أربعة أو خمسة أحرف أصلية جميع حروفها مصمتة، بل لا بدّ أن يكون فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة، وإلّا فذلك دليل قاطع على عجمتها في الغالب، وأنّها كلمة دخيلة على العربية وليست منها، يقول "ابن جني": «...فمتى وَجَدْتَ كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من بعض هذه الأحرف الستّة - أي المذلفة - فاقض بأنّه دخيل في كلام العرب، وليس منه (...) مثل: العَسَجْدُ...»⁽⁵⁾. ويضيف "مصطفى رجب" سببا مقنعا يمنع تركيب كلمة عربية من الأصوات المصمتة فقط دون المذلفة، فيقول: «وعلة ذلك أنّ حروف الإصمات صعبة على اللسان، وحروف الإذلاق سهلة عليه، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشترطوا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق لتعادل خفّة المذلق ثقل الصمت»⁽⁶⁾.

(1) - حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980م، ص323.

(2) - صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009م، صص283، 284.

(3) - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة "صَمَت"

(4) - السيّد أحمد عبد الغفّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، ص24.

(5) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، صص64، 65.

(6) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص259.

ثانيا: الصفات التي لا ضد لها في العربية

1 - الصغير

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "صَفَر": «الصَّفِيرُ هو الصَّوْت بالفم والشفَتين (...)، والصَّفَرُ: داء في البطن يُصَفِّرُ منه الوجه (...)»، والصَّفِيرُ: من الصَّوْت بالدواب: إذا سَقَيْت (...) وصَفَرَ الطائر يَصْفِرُ صَفِيرًا أي مَكَا...»⁽¹⁾.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الصغير هو: «صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق بالصاد والسين والزاي، وهو صوت شبيه بصوت الطائر»⁽²⁾.

وإنما سميت حروف الصَّفِير كذلك لأنك «تسمع لها عند النطق بها صوتا يشبه صوت بعض الطيور، فالصاد مثلا تشبه صوت الأوز، والزاي مثلا تشبه صوت النحل، والسين مثلا تشبه صوت الجراد، وأقوى هذه الأحرف الثلاثة حرف الصاد لما فيه من استعلاء وإطباق»⁽³⁾.

ويشاطر "صبري المتوَّي" "الراجحي" في كون "الصاد" أقوى أصوات الصغير، حيث يجعل حروف الصغير على مراتب متفاوتة: الأولى لصوت "الصاد" لإطباقها واستعلائها، الأخرى لصوت "الزاي" لجهرها، في حين تحتل "السين" المرتبة الثالثة لعمسها⁽⁴⁾. أما "سعاد عبد الحميد" فتحدّد درجات الصغير من زاوية أخرى قائلة: «أقوى ما يكون - أي الصغير - في المشدّد نحو: (الصَّالِحِينَ)، ثم الساكن نحو: (اصْبِرُوا)، ثم المتحرّك نحو: (صَبَرَ)، وهذه الدرجات تنطبق على بقية الصفات»⁽⁵⁾.

ويطلق "ابن جزري" على هذه الأصوات الثلاثة مصطلح "الأسلية"؛ لأنّها تخرج من أسلة اللسان وهو مستدقّه، وهو نفس المصطلح الذي استخدمه "الخليل" في مخارجه الثمانية كما رأينا في السابق.

2 - القلقلة:

أ/ تعريفها في اللغة:

يحيل المعنى اللغوي للفظ "القلقلة" على التحرك والاضطراب فـ: «قَلْقَلٌ في الأرض: ضرب فيها، والشّيء: حرّكه والحزن دَمَعُهُ: أسألُهُ، وتَقَلَّقَل: تحرّك في البلاد، وتَقَلَّبَ فيها...»⁽⁶⁾.

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة صَفَر.

(2) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص71.

(3) - شرف الدّين على الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، ص48.

(4) - صبري المتوَّي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص72.

(5) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص92.

(6) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "قَلْقَل".

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

يقول "سيبويه": «واعلم أنّ من الحروف حروفا مُشْرِئَةً ضُعُطَتْ من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُويّت، ونَبَا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة»⁽¹⁾.

فالقلقلة بهذا المعنى: «اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكنا حتّى يُسمع له نبرة قويّة، وحروفها خمسة مجموعة في قوله (قطب جد)، والسبب في هذا الاضطراب والتحريك شدّة حروفها لما فيها من جهر وشدّة، فالجهر يمنع جريان النفس، والشدّة تمنع جريان الصوت، فاحتاجت إلى كلفة في بياحها، ومراتب القلقلة ثلاثة، أعلاها الطاء وأوسطها الجيم وأدناها الباقي»⁽²⁾.

فهذا التعريف الذي أتينا على ذكره تعريف جامع مانع؛ أشار إلى معنى القلقلة، حروفها، سبب حدوثها ومراتب حروفها من حيث قلقلتها، فالاضطراب الذي يلحق حروفها مصدره الأساسي هو اجتماع في كلّ حرف منها صفتين قويتين هما الشدّة (الانفجار) والجهر، ولا يمكن حصول القلقلة إذا لم تتوفّر في الحرف هذين الصفتين، غير أنّ الاستثناء حاصل في "الطاء" و"القاف" لسقوط صفة الجهر فيهما، فهما مهموسان في الدرس الصوتي الحديث كما أسلفنا، ومع ذلك فإنّ القلقلة فيهما حاصلة.

كما أشار التعريف السابق كذلك إلى أنّ حروف القلقلة خمسة، غير أنّنا نجد "المبرد" مثلاً في "المقتضب" يضيف إلى الخمسة حرف "القاف" قائلاً: «واعلم أنّ من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها، فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة، وإن تفقدت ذلك وجدته فمناها: "القاف" و"الكاف" إلّا أنّها دون "القاف"، لأنّ حصر القاف أشدّ، وإنّما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإنّ وصلت لم يكن لأنّك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلّت بينه وبين الاستقرار، وهذه الملقلة بعضها أشدّ حصراً من بعض»⁽³⁾.

فالقلقلة حسب "المبرد" تكون في الوقف أشدّ وأبين منها حين الوصل.

وفي التعريف السابق للقلقلة يختمه "فهمي علي سليمان" بذكر أيّ الحروف الخمسة أشدّ وأعلى قلقلة من غيرها، حيث جعل "الطاء" أقواها، غير أنّنا نجد "مصطفى رجب" مثلاً في كتابه "دراسات لغوية" يخالفه حينما يقول متحدّثاً عن حروف القلقلة: «...وهي أقوى في القاف ثمّ في الطاء ثمّ في الجيم ثمّ في الباء ثمّ في الدال، ويجب ألاّ تزيد القلقلة إلى حدّ أن تنقلب إلى حركة، والقلقلة صفة لازمة لهذه الحروف الخمسة في حال سكونها»⁽⁴⁾.

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص174.

(2) - فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1990م، ص56.

(3) - المبرد: المقتضب، ج1، ص332.

(4) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص261.

إذن جعل "مصطفى رجب" صوت "القاف" أعلى الأصوات قليلة، يليه صوت "طاء" مخالفا بذلك "فهمي علي سليمان"، غير أنّ مذهب هذا الأخير - حسب ما أراه - هو الأقرب للصواب أكثر من مذهب "مصطفى رجب"؛ فمعروف أنّ القليلة من الأصوات القوية لاجتماع صفتي الجهر والشدة في حروفها، ومعروف كذلك أنّ صوت "طاء" أقوى من صوت "القاف"، لأنّ الأول تجتمع فيه هو الآخر - فضلا عن شدّته - صفتين قويتين هما صفتا "الإطباق والاستعلاء"؛ فكلّ ما هو مطبق مستعمل كما سبقت الإشارة، غير أنّ في "القاف" استعلاء من دون إطباق.

أما عن موضع القليلة فإنّ للعلماء في ذلك مذهبين⁽¹⁾:

الأول: يرى بعضهم أنّ القليلة لا تكون إلّا عند الوقف، وهذا يعني أنّك إذا وصلت إلى صوت آخر يشغلك عن إتباع الحرف الأول (أي المقلقل) صوتا.

الثاني: ذهب كثير من العلماء إلى القول: إنّ من أهمّ شروط حصول القليلة سكون حروفها بغضّ النظر عن موضع وقوعها وسطا أو تطرفا، غير أنّ هناك إجماع على أنّ الصوت المقلقل يكون في حالة الوقف عليه أبين من عند الوصل به.

ج/ أقسام وأنواع القليلة:

يمكن أن نصنّف القليلة إلى نوعين مختلفين، وذلك باعتبار موقع الحرف المقلقل من الكلمة هما⁽²⁾:

* القليلة الكبرى: وهي الحاصلة في نهاية الكلم المنتهية بأحد تلك الأصوات.

* القليلة الصغرى: وهي الحاصلة عند وجودها إحداها في وسطها.

فإذا وقع الحرف المقلقل متطرفا في آخر الكلمة، وكان موقوفا عليه وساكنة سُمّيت حينها قليلة كبرى، وإن وقع في وسط الكلمة وكان ساكنة سُمّيت قليلة صغرى.

د/ علة القليلة:

يقول "خليل إبراهيم العطية": «أنّ العرب إنّما قلقل الأصوات الخمسة السالفة الذكر بإضافة صوت لين قصير عليها أو "صويت" كما سمّاه سيبويه، حرصا منهم على إظهار ما في هذه الأصوات من جهر، فلا ينالها شيء من الهمس»⁽³⁾.

هـ/ مراتب ودرجات القليلة:

بناء على ما سبق يمكن أن نميّز للقيلة بين ثلاث مرات⁽⁴⁾:

(1) - غانم قدّوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 120.

(2) - خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، دط، 1983، ص 59.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

(4) - ينظر: مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص 261. وأيضا: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 2008م، ص 58.

- 1 - تكون في الحرف المشدّد الموقوف عليه نحو: "الحَقُّ"، وتسمّى أقوى درجات القلقلة.
 - 2 - تكون في الحرف الساكن الموقوف عليه نحو: "وَعِيدٌ"، وتسمّى أوسط درجات القلقلة.
 - 3 - تكون في الحرف الساكن غير الموقوف عليه نحو: "أَفْطَطُعُمُونَ"، وتسمّى أقلّ درجات القلقلة.
- 3 - اللين:

أ/ تعريفه في اللغة:

يحمل المعنى اللغوي للين على السهولة واليسر: «لَا نَ الشَّيْءَ لَيْنًا وَلَيَانًا: سَهْلٌ وانقاد فهو لَيِّنٌ وَلَيِّنٌ (...»، ويقال: أَلَانَ للقوم جناحه: أخذهم بالملاطفة (...»، واستَلَانَ العيش: رَأَهُ لَيْنًا أو عَدَّهُ أو وجدّه لَيْنًا...»⁽¹⁾.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

اللين هو: «إخراج الحرف بعد كلفة على اللسان، وحروف اللين: الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: خَوْفٌ وَبَيْتٌ»⁽²⁾.
بناء على هذا يمكن القول: إنّ حرف اللين هو حرف المدّ الساكن، المتحرك ما قبله بحركة لا تناسبه (من غير جنسه)، ويسقط من هذا الاعتبار الألف لمجانسة حركة الفتح لها؛ فهي حرف مدّ لا لين.

4 - الانحراف:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "حَرْفٌ": «حَرْفَ عَنْهُ حَرْفًا: مَالَ وَعَدَلَ، وَلَعِيَالَهُ: كَسَبَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ حَرْفَةٍ وَجْهَةً، وَالشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ حَرْفًا: صَرَفَهُ وَغَيْرَهُ (...»، وحَرْفَ فُلَانٌ فِي مَالِهِ: ذَهَبَ مِنْهُ شَيْءٌ (...»، وانْحَرَفَ: مَالٌ، وَيُقَالُ: انْحَرَفَ مِرْزَاةٌ: مَالٌ عَنِ الْإِعْتِدَالِ وَإِلَى فُلَانٍ: مَالٌ إِلَيْهِ، وَعَنْ فُلَانٍ: انْصَرَفَ...»⁽³⁾.

فالانحراف في معناه اللغوي إذن هو: الميل عن الشيء والعدول عنه.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يقول "سيبويه": «ومنها (المنحرف) وهو حرف شديد جرى فيه الصّوت لانحراف اللسان مع الصّوت، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو "اللام"، وإن شئت مددت فيها الصّوت، وليس كالزّحوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع "اللام"، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان وفوّيق ذلك»⁽⁴⁾.

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة لَيِّنَ.

(2) - صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، ص 283.

(3) - مجمع اللغة العربية: المصدر السابق، مادة حَرْفَ.

(4) - سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 435.

إذن فصفة الانحراف - على مذهب "سيبويه" - من الصفات المفردة والخاصة بصوت واحد وهو "اللام"، ولكن هناك الكثير من اللغويين والعلماء من يجعلها صفة لصوتين هما "اللام" و"الراء" معا، ومن هؤلاء الشيخ "الحصري" الذي يعرف الانحراف بأنه: «الميل بالحرف عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره، وهو صفة لازمة لحرفين اللام والراء، وإنما وُصِفَا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما؛ فاللام فيها انحراف وميل إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان جانحة قليلا إلى جهة اللام»⁽¹⁾.

5 - التكرير:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "صاحح الجوهري" في تفسير مادة "كَزَزَ": باب الراء فصل الكاف: «الكَزُّ بالفتح: الحَبْلُ يُصْعَدُّ به على النخلة (...)، والكَزَّةُ: المرة (...) والجمع الكَزَات (...)، والكَزُّ: الرجوع (...)، وكَزَزْتُ الشيء تَكْرِيرًا وَتَكَرَّرًا (...) وَتَكَرَّرَ الرجل في أمره أي تَرَدَّدَ (...) وكَزَزْتُهُ عَنِّي: أي دفعته ورددته...»⁽²⁾. إذن فالتكرار في اللغة بمعنى: إعادة الشيء مرة بعد أخرى.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرفه "داود عبده" فيقول: «ويسمى أيضا التردد، وهو سمة يتصف بها صوت واحد وهو الراء، وسميت الراء صوتا تكراريا؛ لأن طرف اللسان يضرب أصول الأسنان العليا أو اللثة ضربات متكررة عند نطقها»⁽³⁾. يتضح من خلال هذا التعريف أن صفة التكرار أو كما تسمى كذلك "التكرير" صفة مفردة خاصة بصوت واحد وهو "الراء"، وتكمن علّة تسميته بالمكرر لتكرار ضربات وطرقات اللسان على الثنايا العليا أو اللثة بشكل متتابع ومستمر، ويشتد هذا التكرار حالة تشديد أو إدغام "الراء"، وفي هذا يقول "محمد بن إبراهيم الحمد": «التكرير هو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وحرفه الراء فقط، وأكثر ما يظهر تكريره إذا كان مشدداً نحو: مَرَّةً، وَكَرَّةً»⁽⁴⁾.

6 - التفشي:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير كلمة "التفشي": «فَشَوُ: يقال: فَشْتُ عليه ضِعَّتُهُ: إذا انتشرت عليه أموره لا يدري بأيها يبدأ (...) وَتَفَشَّتْ القَرْحَةُ: اتسعت (...), وقد فَشَتْ أُنْعَامُهُمْ فَشَاءً، وَمَشَتْ مَشَاءً: كَثُرَتْ...»⁽⁵⁾.

(1) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، صص 103، 104.

(2) - إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1990م، مادة كَزَزَ.

(3) - داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية، ج2، دار جرير للنشر والتوزيع، دب، دط، 1431هـ/ 2010م، ص43.

(4) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، ص112.

(5) - الزنجشيري: أساس البلاغة، مادة فَشَوُ.

إذن فالتفشي في الشيء: الانتشار والاتساع والكثرة.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرفه "محمد بن إبراهيم الحمد" مبيّنا حروفه واختلاف العلماء في ذلك بقوله: «وهو كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالحرف، وحرف التفشي هو الشين فقط على المشهور، وبعضهم يجعله في الضاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول: إنّ في الصاد والسين تفشياً أيضاً، وكل ذلك غير مجمع عليه»⁽¹⁾.

7 - الاستطالة:

أ/ تعريفها في اللغة:

جاء في "أساس البلاغة" في تفسير مادة: "طَوَّلَ": «تَطَاوَلَ: تَمَدَّدَ قائماً لينظر إلى بعيد (...). وَأَطَالَتِ المرأةُ: وَلَدَتْ طَوَّالاً (...). وَطَوَّلَ لَهُ: أَمَهَلَهُ (...). وَلَهُ عَلَيْهِ طَوُّلٌ: فَضْلٌ (...). وَهُوَ يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ وَيَسْتَطِيلُ، وَلَهُ عَلَيْهِمْ تَطَاوُلٌ وَاسْتِطَالَةٌ، وَاسْتِطَالَ بَنُو فُلَانٍ عَلَيْنَا: قَتَلُوا أَكْثَرَ مِمَّا قَتَلْنَا...»⁽²⁾.

فالاستطالة في اللغة تحيل على: الامتداد، التمهيل، التطاول، الكثرة...

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

جاء في "النشر": «الحرف المستطيل هو الضاد؛ لأنّه استطال عن الفهم عند النطق به حتّى اتّصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوّة بالجهر والإطباق والاستعلاء»⁽³⁾.

فالاستطالة بهذا صفة مفردة لا ضدّ لها، وهي صفة خاصة لازمة "للضاد" المعجمة، بيد أنّ بعضهم يقول بأنّ: «الشين مستطيلة لأنّها تفشت واستطالت حتّى خالطت أعلى الشتين»⁽⁴⁾.

هذه إذن هي الصفات التي تحدّث عنها علماء الأصوات، وعددها سبعة عشر - كما ذكرنا -؛ عشرة منها متضادة (خمس ضدّ خمس)، وسبعة أخرى لا ضدّ لها، هذا وسنضيف إليها سيأتي بعض الصفات الأخرى غير هذه المذكورة، تحدّث عنها بعض اللغويين وعلماء الأصوات، ثمّ ننتقل بعدها إلى الصفات العارضة، والمتمثلة هنا في أحكام النون الساكنة والتنوين، وكذا أحكام الميم الساكنة، وهي صفات خاصة بتجويد آي القرآن الكريم.

* الغنة (الأنفية):

(1) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، ص 112.

(2) - الرخشري: المصدر السابق، مادة طَوَّلَ.

(3) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 205.

(4) - محمد بن إبراهيم الحمد: المرجع السابق، ص س.

"النون" و"الميم" صوتان أنفيان لا يخرجان من الفم، وإنما مخرجهما هو الأنف، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لما ظهر الصوت، ولهذا تسمع مع صوت "النون" و"الميم" غنة تتبعهما عند النطق بهما؛ فهما بهذا صوتان أنفيان يخرجان من الخيشوم، والأنفية: «سمة تميز الأصوات التي يتسرب الهواء عند نطقها من الأنف (من فتحة في مؤخر الفم) من الأصوات الأخرى، فهذه السمة هي التي تميز "الميم" من "الباء" و"النون" من "الدال"»⁽¹⁾.

يبدو أن هذا الكلام فيه نوع من الارتباك، فصحيح أن "الأنفية" هي سمة تساهم في التمييز بين الأصوات التي تشترك في عدد من الصفات، ولكنني أرى أن هذه السمة ليست هي مطلقا التي تتدخل في التفريق بين "الميم" و"الباء"، أو بين "النون" و"الدال" كما جاء في التعريف السابق، فقبل أن نميز بين "الميم" و"الباء" مثلا من خلال صفة الغنة؛ فإن "الباء" تتميز عن "الميم" بكون الأولى انفجارية، في حين أن الأخرى متوسطة. كما أن "الباء" تتميز عن "الميم" أيضا بأنها مقلقلة، بينما في المقابل تتميز "الميم" عن "الباء" بأنها أنفية، وإن كان هذا التمثيل مقبولا إلى حد ما، فإن ما هو غير مقبول ولا معقول هو: أن صفة "الأنفية" هي التي تميز "النون" عن "الدال" وهذا خطأ - من وجهة نظري - فـ"النون" تتميز عن "الدال" فضلا عن صفة الأنفية بعدة صفات أخرى؛ فـ"الدال" شديدة و"النون" متوسطة، "الدال" مصمتة في حين أن "النون" مذلفة، وكان من الأولى به أن يقول مثلا: أن الأنفية سمة تميز "النون" عن "اللام" مثلا، فذلك يكون منطقيا أكثر؛ لأن "النون" تتميز عن "اللام" بأنها أنفية، و"اللام" تتميز عن "النون" بكونها منحرفة، ولولا الغنة والانحراف لكانت "النون" لاما، و"اللام" نونا، هذا فضلا عن اشتراكهما في المخرج الصوتي. إذن فالغنة صفة لازمة لـ "النون" و"الميم" «والنون أغن من الميم، ويلحق بالنون التنوين»⁽²⁾.

أما عن مراتب الغنة فسنخصص لها مكانا في مبحث "التفخيم والترقيق" إن شاء المولى عز وجل.

* الهت / المهتوتة:

اختلف علماء العربية في أي الأصوات تنطبق عليها هذه الصفة، حيث أطلقوها على أصوات ثلاثة؛ جعلها "الخليل" لصوت "الهمزة" «لأن الهت عنده هو الصوت الشديد، فسماها كذلك لخروجها من الصدر كالتهوع فتححتاج إلى ظهور صوت قوي شديد»⁽³⁾. وأطلقها كل من "سيبويه" و"ابن جني" على صوت "الهاء"، يقول: "ابن جني": «ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء»⁽⁴⁾، في حين جعلها آخرون أمثال "ابن الحاجب" صفة لصوت "الياء"، غير أن «الأكثر تحقيقا أن هذه الصفة جديرة بالهمزة لشدة أكثر من صوتي الهاء والياء»⁽⁵⁾.

(1) - داود عبده: دراسات في علم الأصوات العربية، ج2، ص43.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص52.

(3) - الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص52.

(4) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص64.

(5) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص281.

* الخفاء:

يقول "حاتم صالح الضامن": «الحروف الخفية هي الهاء، وحروف المدّ واللين (الألف، الواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة)، وإنما سُميت بالخفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، ولفظها في هذا خفي بين حرفين أو بعد حرف أو حروف هواء»⁽¹⁾.

وأشدد درجات "الخفاء" «حروف المدّ واللين، وورودها بعد "الهمزة" وكذلك قبلها والثانية أشدد خفاءً، وعلى هذا فإذا جاور حرف مدّ ولين "الهمزة" خفي معها لضعفه وبُعد مخرجها»⁽²⁾.

وأما الحرف الرابع وهو: "الهاء": «فتتقوى بالصلة وبالإشباع والحركة المصاحبة لها»⁽³⁾.

* الهاوي:

هو: «الصوت اللين الذي يتسع فيه تجويف الفم وهو "الألف"»⁽⁴⁾.

وغيرها من الصفات الكثيرة والمتعددة.

بعد هذا العرض الخاص بالصفات الصوتية اللازمة بنوعيتها، أمكن للسائل أن يتساءل فيقول: أيّ هذه الصفات أقوى من الأخرى؟

يجيب "عبد البديع النيرباني" على هذا السؤال فيقول: «واعلم أنّ القوة في الحرف تكون بالجر وبالشدة وبالإطباق والتفخيم وبالتكرير وبالاستعلاء وبالصفير وبلاستطالة وبالغنة وبالتفشي (...). فبهذه الصفات يقوى الحرف وبعدمها يضعف، وكلما تكررت فيه الصفة القويّة كان أقوى للحرف، وكذلك إذا تكررت في الحرف الصفة الضعيفة كان أضعف»⁽⁵⁾.

ويمكن في الأخير أن نقسم الأصوات العربية من حيث قوتها وضعفها وتوسطها إلى الأقسام التالية⁽⁶⁾:

- 1 - الأصوات الأقوى: الطاء، الضاد، الظاء والقاف من حيث الإنجاز والصفة.
- 2 - الأصوات القوية: الجيم، الدال، الصاد، الغين، الراء والزاي من حيث الانجاز والصفة.
- 3 - الأصوات المتوسطة الصفات والإنجاز: الهمزة، الألف، الباء، التاء، الخاء، الذال، العين والكاف.
- 4 - الأصوات الضعيفة: السين، الشين، اللام، الواو والياء.

(1) - حاتم صالح الضامن: فقه اللغة، ص180.

(2) - أبو العباس أحمد بن عمار المهدي: في توجيه القراءات شرح الهداية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م ص224.

(3) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، ج2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/1999م، ص593.

(4) - منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، ص92.

(5) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط1، 1427هـ/2006م ص88.

(6) - عبد الجليل غزالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، ص83.

5 - الأصوات الأضعف صفة وإنجازاً: الثاء، الحاء، النون، الميم، الفاء والهاء.

2- الصفات الصوتية العرضية

إنّ الصفات العرضية كما ذكرنا هي تلك الصفات التي قد يكتسبها الحرف في سياق كلامي ما ويفقدها في سياق آخر؛ بمعنى أنّ هذه الصفات غير ثابتة في الحرف، وهو إنّما يكتسبها حينما يكون بمحاذاة حرف معيّن أو حركة معيّنة أو كلاهما معاً، ما إن يحدث تغيير في هذا الحرف أو تلك الحركة أو كلاهما حتّى تسقط منه صفته العرضية، ويمكن أن نستدلّ على هذا النوع: بأحكام النون الساكنة والتنوين، وكذا أحكام الميم الساكنة، إضافة إلى هذه الصفات هناك صفة أخرى لا تقلّ أهميّة عن هذه الصفات المذكورة، ألا وهي صفة "التفخيم والترقيق"، فكثير من العلماء واللغويين يدرجون مبحث "التفخيم والترقيق" ضمن الصفات الصوتية المتضادة وآخرون يدرجونه ضمن الظواهر الصوتية الوظيفية، وفي الحقيقة إنّ: "التفخيم والترقيق" صفتان صوتيتان متضادتان، وهما في الوقت ذاته ظاهرتان فونولوجيتان، ولأجل ذلك فإنّه تمّ تأجيل هذا المبحث ضمن الظواهر الصوتية.

أولاً: أحكام النون الساكنة والتنوين

قبل التعرّض لأحكام "النون الساكنة" و"التنوين" الخاصة بتلاوة آيات القرآن الكريم، لابدّ من وقفة سريعة على تعريف كلّ من "النون الساكنة" و"التنوين"، وأبرز الفروق القائمة بينهما:

* **النون الساكنة:** هي: «النون الخالية من الحركة، ويتوقف النطق بها على حسب الحرف الآتي بعدها»⁽¹⁾.

* **التنوين:** هو: «نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظاً ووصلاً، وتفارقه في الخطّ والوقف، وعلامته: الضمّتان

أو الفتحتان أو الكسرتان»⁽²⁾.

وأما الفرق بين النون الساكنة والتنوين فيوضّحه الجدول التالي⁽³⁾:

الفرق	النون الساكنة	التنوين
الأول	حرف أصلي، تثبت لفظاً وخطاً	زائد عن الأصل، يثبت لفظاً دون الخط
الثاني	تثبت وصلاً ووقفاً	يثبت في الوصل دون الوقف
الثالث	تأتي في الأسماء والأفعال والحروف	لا يكون إلّا في الأسماء
الرابع	تكون متوسطة ومتطرفة في الكلمة	لا يأتي إلّا في آخر الكلمة (متطرفاً فقط)
الخامس	أحكامها تأتي في كلمة أو كلمتين	أحكامه لا تأتي إلّا في كلمتين

(1) - حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، دون دار النشر، السعودية، دط، 1999م، ص60.

(2) - حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، ص60.

(3) - ينظر: أحمد محمود عبد السّميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص28، وسعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن ص170.

ويختصر لنا "ابن جزري" أحكام الحروف الهجائية مع "النون الساكنة" و"التنوين" في النظم التالي⁽¹⁾:

وَحُكْمُ تَنْوِينٍ وَتُونٍ يُلْفَى
فَعِنْدَ حَرْفِ الْحَلْقِ أَظْهَرُ، وَأَدْغَمَ
وَأَدْغَمَنْ بَعْنَةً فِي: يُـوْمٍ
إِلَّا بِكَلِمَةٍ ك: دُنْيَا عَنَوْنُوا
وَالْقَلْبُ عِنْدَ الْبَا بَعْنَةً، كَذَا
الْإِخْفَا لَدَى بَاقِي الْحُرُوفِ أُخِذَا.

إذن فقد حدّد "ابن جزري" من خلال هذه الأبيات الأربعة: الأحكام الأربعة الخاصة بالنون الساكنة والتنوين، كما بيّن الحروف الخاصة بكلّ حكم، وبيّن ما ينقسم من هذه الأحكام، وما تلحقه الغنة منها وما لا تلحقه، وإليك الآن تفصيل ذلك:

1 - الإظهار:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "ظَهَرَ": «ظَهَرَ الشَّيْءُ ظُهُورًا: تَبَيَّنَ وَبَرَزَ بَعْدَ الْخَفَاءِ، وَعَلَى الْحَائِطِ وَنَحْوِهِ: عَلَاهُ، وَعَلَى الْأَمْرِ: اطَّلَعَ (...)»، والظُّهْرُ: خلاف البطن...»⁽²⁾.

فالإظهار في معناه اللغوي يحيل على الوضوح والبيان والجلال.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الإظهار هو: «إخراج كلّ حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر، وذلك إذا جاء بعدهما - أي النون الساكنة أو التنوين - أحد هذه الأحرف الستة (أ، هـ، ع، ح، غ، خ)، وتسمّى حروف الحلق لأنّها تخرج منه، وهذه الحروف الستة مجموعة في أوائل هذه الكلمات: أَخِي هَاكَ عِلْمًا حَازَهُ غَيْرَ خَاسِرٍ»⁽³⁾.

فواضح من خلال هذا التعريف أنّ الإظهار إنّما سمّي كذلك لظهور النون الساكنة أو التنوين عند ملاقاته أحد هذه الحروف الستة، أمّا تسميته بالحلق في لكون جميع حروفه تخرج من مخرج واحد وهو: "الحلق"، سواء أكان ذلك من أقصاه أو من وسطه أو من أدناه.

ج/ علّة الإظهار:

قال العلماء أنّ العلّة في إظهار "النون الساكنة" و"التنوين" عند ملاقاته هذه الأحرف هي: «بُعْدُ مَخْرَجِ النون والتنوين عن مخرجها؛ لأنّ النون والتنوين يخرجان من طرف اللسان، والحروف الستة تخرج من الحلق، اثنان من أقصاه، واثنان من وسطه، واثنان من أدناه،

(1) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص7.

(2) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "ظَهَرَ".

(3) - محمد محمود عبد الله: كيف تجوّد القرآن العظيم أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن، ص18.

فليس بين النون الساكنة والتنوين وبين هذه الأحرف تقارب أو تجانس حتى يسوغ إدغامهما، أو إخفاءهما عندها، فوجب حينئذ إظهارهما عند ملاقاته هذه الأحرف»⁽¹⁾.

فبعد المخرج بين "النون الساكنة" و"التنوين"، وبين الحروف الحلقية المجاورة لها يدعو إلى النطق بهما مظهرتان من غير إدغام أو إخفاء يكون هنالك.

د/ كفيته:

يكون الإظهار بالنطق بالنون الساكنة أو التنوين نطقا واضحا من غير غنة ظاهرة، بدون فصل أو سكت مع إعطائها زمنا متوسطا بين الشدة وبين الرخاوة⁽²⁾.

هـ/ مراتب الإظهار:

مراتب الإظهار ثلاثة وهي: «عليا عند "الهمزة" و"الهاء"، ووسطى عند "العين" و"الحاء"، ودنيا عند "الغين" و"الخاء"»⁽³⁾، شأنها في ذلك شأن أقسام الحلق الثلاثة.

ملاحظات:

1 - إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين: "همزة"، فإنّ الإمام "ورش" رحمه الله ينقل حركة "الهمزة" إلى الساكن قبلها؛ أي إلى النون الساكنة أو التنوين، فيزول بذلك سكونهما وهذا ما يعرف بالنقل، والذي سيتم التفصيل فيه عند الأحكام المتعلقة بظاهرة الهمز إن شاء الله تعالى.

2 - تقع "النون الساكنة" مع حروف الإظهار في كلمة واحدة وفي كلمتين، أما التنوين مع حروف الإظهار فلا يكون إلّا في كلمتين⁽⁴⁾.

2 - الإدغام

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: «الإدغام: إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغم اللّحام في فم الدّابة، وأدغم الحرف في الحرف (...)، والأدغم: الأسود الأنف، ومن يتكلم قبل أنفه، ودغم: الحرّ والبزْد، ودغم الغيث الأرض: غمّرها...»⁽⁵⁾. فالإدغام في اللغة هو: الإدخال والمزج، وهو من الألفاظ المتضادة.

(1) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 171.

(2) - سعد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 173.

(3) - محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص س.

(4) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 63، 64.

(5) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة دغم.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّف "الكيلائي" الإدغام مبيّنا مفهومه، أقسامه وحروفه فيقول: «هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك، بحيث يصيران حرفا واحدا مشدّدا، والإدغام قسمين: قسم بغنة وقسم بغير غنة، والإدغام لا يكون إلّا من كلمتين، وحروف الإدغام بقسميه ستة مجموعة في أحرف: "يرملون"»⁽¹⁾.

إذن فالإدغام لا يحصل إذا كان في كلمة واحدة، ولأجل ذلك فإنّ النون الساكنة لا تُدغم في «الواو والياء إذا اجتمعا في كلمة واحدة، فإن حصل ذلك امتنع الإدغام ويسمى إظهارا مطلقا(شادا)، لعدم تقيده بالحلقي أو الشفوي(...)، ولم يقع في القرآن إلّا في أربع كلمات: ﴿الذُّنُوبَا﴾ البقرة/85، ﴿صُنُوءَا﴾ الرعد/4، ﴿فَنُوءَا﴾ الأنعام/99، ﴿بُنَيْسَا﴾ الصف/4، وتظهر "النون" عند هذين الحرفين لثلا يلتبس بالمضاعف، وهو ما

تكرّر أحد أصوله مثل: "صُوءَا"، "الذُّنُوبَا"، فلو أدغمت لما فرّق السامع بين ما أصله النون، وبين ما أصله التضعيف وكذلك للمحافظة على المعنى، إذ لو أدغمت لأعطيت معنى آخر»⁽²⁾.

ج/ أصل الإدغام:

الأصل في الإدغام أن يُدخَلَ الحرف الأول الساكن في الثاني المتحرك في المثليين، ويحوّل الأول الساكن إلى لفظ الثاني ويدغم فيه، وقد يكون الأول متحركا فيسكّن ويدغم في الثاني، وقد يدغم الثاني في الأول في بعض الحالات إلّا أنّه ليس أصلا في الإدغام⁽³⁾.

كما أنّ أصل الإدغام أن: «يؤثّر الأقوى مخرجا أو صفة في الآخر، فيصبغ عليه بعض الصفات أو كلّها»⁽⁴⁾.

د/ علّة الإدغام:

يقول "عبد البديع النيرباني" في معرض حديثه عن علّة الإدغام: «إنّ السبب الرئيسي الذي يدعو إلى الإدغام هو التخفيف، لأنّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صُعْب عليه ذلك»⁽⁵⁾. يفهم من خلال هذا الكلام أنّ علّة الإدغام تكمن في الجنوح نحو التسهيل والتخفيف والنفور من الاستتقال في النطق، ويكون ذلك لضرب من التماثل أو التجانس أو لضرب من التقارب في المخرج الصوتي، وهذا ما سيتمّ التفصيل فيه أكثر خلال الحديث عن أنواع الإدغام من حيث العلّة.

(1) - حسام الدّين سليم الكلائي: البيان في أحكام تجويد القرآن، ص 65.

(2) - سعد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 175.

(3) - عبد الله بولخوط: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2000م ص 7.

(4) - مختار نويوات ومحمّد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 41.

(5) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 103.

هـ / كفيته:

يمكن إيجاز كيفية الإدغام في نقطتين أساسيتين هما⁽¹⁾:

- 1 - إذا كان الحرفان متماثلين^(*)، فيدغم الأول في الثاني.
- 2 - أما إذا كان متقاربين^(**) أو متجانسين^(***)، فيتّم قلب الحرف الأول حرفا ماثلا للثاني، ثمّ يتمّ الإدغام.

و/ أنواع الإدغام:

يمكن أن نقسّم الإدغام باعتبار ظهور الغنة، وعدمها إلى نوعين أو قسمين:

* الإدغام بغنة:

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من هذه الأحرف الأربعة والتي هي: "الياء" و"النون" و"الميم" و"الواو" المجموعة في كلمة (ينمو) أو (يؤمن)، فإذا: «وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة بشرط أن تكون النون في كلمة، والحرف بعدها في الكلمة التي تليها، أو وقع حرف من هذه الأحرف بعد التنوين ولا يكونان إلاّ في كلمتان، وجب أن تدغم النون والتنوين في هذا الحرف مع الغنة»⁽²⁾.

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام: "الإدغام الناقص"؛ أي الذي «لم يستكمل التشديد، لأنّ الغنة منعت من كماله، أو يسمّى بذلك لذهاب الحرف وهو النون والتنوين، وبقاء صفته وهي الغنة»⁽³⁾.
أما عن سبب إدغام النون الساكنة والتنوين مع هذه الأحرف، فتحصرها الباحثة "سعاد عبد الحميد" في ثلاثة أسباب يتمّ التفصيل فيها لاحقا إن شاء الله تعالى، وهي⁽⁴⁾:

- 1 - التماثل مع "النون".
- 2 - التجانس مع "الميم" في مخرج الغنة وفي جميع الصفات، وكذا التقارب النسبي في المخرج.
- 3 - التقارب النسبي مع "الواو" و"الياء" في المخرج، وكذا التقارب في الصفة. فإذا كان الحرفان من عضو واحد، وفصل بينهما مخرج أو أكثر، أو كان من عضوين مختلفين فإنّ المسوغ للإدغام يكون التقارب النسبي.

* الإدغام بغير غنة:

(1) - سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 176.

(*) - التماثل: اتحاد الحرفين المدغمين خطأ ومخرجا وصفة.

(**) - التجانس: اتحاد الحرفين المدغمين مخرجا واختلافهما صفة، أو العكس.

(***) - التقارب: تقارب الحرفين المدغمين مخرجا أو صفة أو هما معا.

(2) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 173.

(3) - المرجع نفسه، ص 174.

(4) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 176.

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين أحد هذين الحرفين: "اللام" و"الراء"، فإذا وقع أحد هذين الحرفين بعد "النون" بشرط أن يكونا في كلمتين، أو بعد التنوين ولا يكونان إلا في كلمتين «وجب إدغام النون أو التنوين في اللام والراء إدغاما كاملا بغير غنة، بأن يُبدل كل من النون الساكنة أو التنوين لاما ساكنة عند اللام وراء ساكنة عند الراء، ويدغم فيما بعده إدغاما تاما»⁽¹⁾.

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام اسم: "الإدغام الكامل/التام"، وذلك «لعدم وجود الغنة التي تمنع من كمال التشديد، أو لذهاب الحرف المدغم وصفته معا»⁽²⁾.

ويجّد "ابن جزري" علّة إدغام النون الساكنة والتنوين مع "اللام" و"الراء" بقوله: «قربهما من مخرجهما، لأنّ من حروف طرف اللسان، فتمكّن الإدغام وحسّن لتقارب المخارج، وذهبت الغنة لأنّ حق الإدغام ذهاب لفظ الحرف الأوّل بكليته وتصويره بلفظ الثاني»⁽³⁾.

أمّا فيما يخصّ أنواع الإدغام من حيث الحركة والسكون، وكذا من حيث العلّة والسبب، فسيتمّ الحديث عنها في مكانها بإذنه تعالى، وذلك لكونها خاصة بجميع حروف الهجاء، وغير مقتصرة على "النون" الخيشومية والتنوين، كما هو الحال مع الإدغام الناقص والإدغام الكامل(التام).

3 - الإقلاب:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "المعجم الوسيط" في تفسير مادة "قَلَبَ": «قَلَبَ الشيء قَلْبًا: جعل أعلاه أسفله، أو يمينه شماله، أو باطنه ظاهره، ويقال قَلَبَ الأمر ظَهْرًا لِبَطْنٍ: اختبره، وقَلَبَ التاجر السلعة: تبصّرها...»، والانقلاب: تحوّل الشيء عن وجهه...»⁽⁴⁾. فالإقلاب في اللغة هو: تحوّل الشيء، وانتقاله من حال إلى حال.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الإقلاب هو: «جعل النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفأة مع الغنة عند حرف الباء»⁽⁵⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ "الباء" إذا سُبقت بنون ساكنة أو تنوين قلبا "ميمًا ساكنة"، ثمّ يتمّ إخفاء هذه الميم مع إظهار الغنة بمقدار حركتين، والغنة هنا صفة لـ "للميم" كما رأينا، ويكون إخفاء "الميم" بإضعافها

(1) - محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص176.

(2) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص177.

(3) - ابن جزري: التمهيد في علم التجويد، صص155، 156.

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "قَلَبَ".

(5) - يوسف أبو العدوس: المهارات اللغوية وفقّ الإلقاء، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م، ص119.

وذلك بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان.

ج/ سبب التسمية:

سمي إقلابا لما فيه من قلب "النون" و"التنوين" "ميما"، ويسمى إخفاء شفويا لفظا؛ لأنّ النون الساكنة والتنوين بعد قلبها "ميما" ووقوع "الباء" بعدهما، وإخفائها فيها يكونان شبيهان بـ"الميم الساكنة" التي بعدها، وهو الإخفاء الشفوي⁽¹⁾، والذي سيأتي الكلام عنه فيما سيأتي من هذا البحث بإذنه تعالى.

د/ علّة الإقلاب:

يكن سبب الإقلاب في اتفاق "الميم" و"النون" في الغنة والجر، واتفاق "الميم" و"الباء" في المخرج الشفوي فلما «وقعت النون قبل الباء ولم يمكن إدغامها فيها لبعدها المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء»⁽²⁾، وقد يكون السبب في ذلك أيضا: «سهولة النطق بالنون الساكنة والتنوين بقلبها ميما وإخفائها في الباء فهو أيسر من الإظهار والإدغام»⁽³⁾.

ونشير أخيرا إلى أنّ الإقلاب كالإظهار، يقع في كلمة وفي كلمتين مع النون الساكنة، أما مع التنوين فلا يقع إلا في كلمتين.

4 - الإخفاء:

أ/ تعريفه في اللغة:

ورد في معجم "أساس البلاغة" لـ"الزمخشري" في تفسير مادة "خَفِيَ": «خَفَا البرق: لمع بضعف خَفُوءًا وخُفُوءًا، وأَخْفَيْتُ الشيء، وخَفِيَ الشيء واخْتَفَى واستَخَفَى وَخَفَى: استتر (...). وَبَرَحَ الْخَفَاءُ: زالت الخُفْيَةُ فظهر الأمر...»⁽⁴⁾. فالإخفاء كالإدغام من الأضداد يدلّ على الستر، وعلى زواله (الظهور والخفاء).

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّف "عبد الله الطويل" الإخفاء فيقول: «وهو النطق بحرف ساكن بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة في الحرف المخفي»⁽⁵⁾.

وإذا أردنا أن نتحدث على حروف الإخفاء قلنا بكلّ بساطة إنّها جميع الحروف الهجائية المتبقية، بعد استبعاد حروف الإظهار الستة، وحروف الإدغام الستة، وحرف الإقلاب، وهذا يعني أنّ حروف الإخفاء خمسة عشر حرفا وهي:

(1) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوائي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص 35.

(2) - ابن جزري: التمهيد في علم التجويد، ص 157.

(3) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: المرجع السابق، ص 34.

(4) - الزمخشري: أساس البلاغة، مادة خَفِيَ/خَفَا.

(5) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فن الترتيل وعلومه، ج 2، ص 757.

ص/ذ/ث/ك/ج/ش/ق/س/ذ/ط/ز/ف/ت/ض/ظ/، وتسهيلا لحفظها نظرا لكثرتها، جمعها العلماء في أوائل كلمات هذا البيت الشعري:

«صِفْ ذَا ثَنَاكُمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمَ طَيْبًا زِدْ فِي ثَقَى ضَعْ ظَالَمًا»⁽¹⁾.

ويسمي علماء التجويد هذا النوع من الإخفاء إخفاء حقيقيا^(*)

ج/ علة الإخفاء:

إن سبب الإخفاء الحقيقي هو: «عدم التقارب بين النون الساكنة والتنوين، وبين حروف الإخفاء الحقيقي كلها حتى يدغما، وعدم تباعدهما كلها حتى يظهر»⁽²⁾.

يفهم من خلال هذا الكلام أن حصول الإخفاء يقتضي وضعية وسطية بين التباعد والتقارب مخرجا أو صفة أو كلاهما، فيما بين النون الساكنة أو التنوين، وبين أحرف الإخفاء؛ ذلك أنه كلما قَوِيَ التقارب في المخرج أو في الصفة قرب إلى الإدغام، وكلما قلَّ قرب إلى الإظهار.

د/ مراتب الإخفاء:

يمكن أن نميز للإخفاء بين ثلاث مراتب هي⁽³⁾:

* **أعلى درجات الإخفاء:** عند "الطاء" و"الذال" و"التاء" لقرب مخرجها من مخرج "النون"، فكلما قرب مخرج الحرف من "النون" كلما زادت درجة الإخفاء، فالمخفي من "النون" عند هذه الحروف أكثر من الباقي منها، فيكون الإخفاء قريبا من الإدغام، فغنتها تكون أكثر ظهورا، ويكون وضع اللسان بعيدا تماما عن مخرج "النون"، والاعتماد على مخرج الخيشوم كلية.

* **أدنى درجات الإخفاء:** عند "القاف" و"الكاف" لبعده مخرجهما عن مخرج "النون"، فيكون الإخفاء قريبا من الإظهار، فتكون غنتها أقل ظهورا.

* **أوسطها:** عند الأحرف العشرة الباقية، لعدم قربها الشديد من "النون"، وعدم بعدها الشديد عنها فيكون في درجة متوسطة.

هـ/ الفرق بين الإدغام والإخفاء:

تقدم الباحثة "سعاد عبد الحميد" تفريقا بسيطا بين الإدغام والإخفاء كما يلي⁽⁴⁾:

(1) - محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، ص 22.

(*) - سمي كذلك لتحقيق الإخفاء في النون الساكنة والتنوين أكثر من غيرهما.

(2) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص 35.

(3) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 184.

(4) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 183.

- 1 - الإخفاء لا تشديد فيه بخلاف الإدغام، ففيه التشديد عندما يكون كاملا، وبذلك تكون الغنة في الإدغام الكامل أكمل من الغنة في الإخفاء.
- 2 - الإخفاء يكون عند الحرف المخفي عنده، والإدغام يكون في الحرف المدغم فيه. تقول: أدغمت "النون" في "اللام" لا عندها، وتقول: أخفيت "النون" عند "اللام" لا فيها.
- 3 - الإخفاء يكون من كلمة أو كلمتين، أما الإدغام لا يكون إلا من كلمتين.
- 4 - الإخفاء دائما بغنة، أما الإدغام فيكون بغنة وبغير غنة.

ملاحظة:

إنّ الإخفاء - أي غنة الإخفاء - يأخذ صفة الحرف الذي يلي النون الساكنة ممّا يعني أنّ الإخفاء يكون «مفخما إذا كان الحرف الذي يلي النون الساكنة أو التنوين مفخما، وإذا كان الحرف الذي يلي النون الساكنة أو التنوين مرققا فعندئذ يكون الإخفاء مرققا»⁽¹⁾.

ثانيا: أحكام الميم الساكنة

قبل الخوض في التفاصيل المتعلقة بالميم الساكنة، لا بدّ أولا من تعريف موجز للميم الساكنة.

* تعريف الميم الساكنة:

هي: «الميم التي لا حركة لها، وسكونها ثابت وصلا ووقفا، وتكون أصلية أو زائدة في وسط الكلمة أو متطرفة»⁽²⁾. إذن فالميم الساكنة لا هي متحركة ولا هي مشددة، كما أنّها ليست متحركة بحركة عارضة للالتقاء الساكنين، ولا هي ساكنة سكونا عارضا للوقف، وهي ميم أصلية تقع في الأسماء نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الفاتحة/2، والأفعال نحو: ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ﴾ الحج/32، والحروف نحو: ﴿لَمْ﴾ المدثر/43، فالميم الساكنة في هذه الأمثلة وقعت متوسطة وكذا متطرفة، وقد تأتي الميم الساكنة زائدة، وتكون في ميم الجمع نحو: ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ هود/106، وتقع قبل حروف الهجاء كلّها إلا أحرف المدّ الثلاثة لأنّها ساكنة، ولا بدّ أن تسبقها حركة مجانسة لها، ولا يجتمع ساكنان في اللغة - كما هو متعارف عليه - كما أنّها لا تقع قبل همزة الوصل، لأنّها تتحرّك للالتقاء الساكنين نحو:

﴿عَلَيْكُمْ الْفِتَالُ﴾ البقرة/216⁽³⁾.

(1) - حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، صص 71، 72.

(2) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 187.

(3) - ينظر: سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 187.

وتتعلق بالميم الساكنة في علم التجويد ثلاثة أحكام هي: الإخفاء الشفوي، الإدغام الشفوي والإظهار الشفوي، وإنما سميت شفوية لأمرين اثنين: «الأول لكون الميم حرف شفوي، والآخر لِيُفَرَّقَ بينها وبين أحكام النون الساكنة»⁽¹⁾.

1 - الإخفاء الشفوي:

وذلك إذا «وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز إخفاء الميم الساكنة مع مراعاة الغنة...»⁽²⁾.
إذن فواضح من خلال هذا التعريف إنما سمي هذا الإخفاء شفويا لخروج حرفيه وهما: "النون" المخففة و"الباء" بعدها من الشفتين، وذلك بخلاف الإخفاء مع النون الساكنة والتنوين (الإخفاء الحقيقي).
وعليه فإن سبب الإخفاء الشفوي هو: «التجانس بين الميم والباء لاتحادهما في المخرج، وتقاربهما في الصفات وهذا من شأنه أن يؤدي إلى سهولة النطق بالحرف»⁽³⁾.

من خلال كل ما سبق ذكره حول الإخفاء يمكن إيجاز الفرق القائم بين نوعيه: الحقيقي والشفوي في كون الأول مع النون الساكنة أو التنوين، وذلك بإخفائها مع بقاء صفتها وهي الغنة، أما الآخر فيكون مع الميم الساكنة دون أن تخفى إخفاء تاما يشاكل النون الساكنة أو التنوين، وذلك لقربهما في المخرج مع "الباء".
عرفنا كذلك - فيما سبق - أنَّ حرف الإقلاب هو "الباء"، وعرفنا الآن أنَّ حرف الإخفاء الشفوي هو "الباء" كذلك. فكيف إذن يمكننا التمييز بينهما؟.

* الفرق بين الإقلاب والإخفاء الشفوي:

يَتَّفَقُ الإقلاب مع الإخفاء الشفوي في المخرج والنطق، ويختلفان في الآتي⁽⁴⁾:

- 1 - في الإقلاب: "الميم" ليست أصلية بل منقلبة، أما في الإخفاء الشفوي فهي أصلية.
- 2 - اختلف العلماء في الإخفاء الشفوي: فبعضهم قال بالإخفاء مع الغنة، وقال آخرون بالإظهار، ولكن الإقلاب لا خلاف فيه.
- 3 - يأتي الإخفاء الشفوي في كلمتين، أما في الإقلاب فيأتي في كلمة أو كلمتين.

2 - الإدغام الشفوي:

ويكون عند حرف واحد فقط وهو "الميم"، وذلك إذا: «وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة دغم فيه» بغنة، ويسمى إدغام مثلين صغير⁽⁵⁾.

(1) - عبد الكريم مقيدش: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 70.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام تجويد القرآن، ص 79.

(3) - سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 189، وأحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيب القرآن الكريم في القراءات السبع، ص 35.

(4) - سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص س.

(5) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، صص 27، 28.

ويمكن تفكيك هذا التعريف من خلال ذكر مختلف المصطلحات المعطاة لهذا الحكم؛ فقد سمي الإدغام الشفوي إدغاما أولا: لإدغام الميم الساكنة في الميم المتحركة بعدها، وسمي متمثلين ثانيا لأتّهما حرفان اتّحدا مخرجا وصفة، اسما ورسمًا، وسمي صغيرا ثالثا: لأنّ الأوّل منهما ساكن، والآخر متحرّك، وكذلك لأنّه لا يحتاج إلى عمل كثير إذ يتمّ إدخال الساكن في المتحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشدّدا من جنس الثاني، هذا وسيتمّ التفصيل في ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

3 - الإظهار الشفوي:

وذلك إذا: «وقع بعد الميم الساكنة أحد الحروف الباقية وَجَبَ إظهارها سواء كان ذلك في كلمة واحدة أم في كلمتين»⁽¹⁾. فواضح من خلال هذا التعريف أنّ هذا الحكم سمي إظهارا لأنّ الميم الساكنة تظهر عند ملاقاتها للحروف الستة والعشرين بعد استبعاد "الباء" و"الميم"، أمّا كونه شفويا فلأنّ: «الميم الساكنة وهي الحرف المظهر تخرج من الشفتين»^(*) فنُسب الإظهار إليهما، لأنّ مخرجها محدّد، ولم يُنسب الإظهار إلى الحروف الستة والعشرين لأنّ مخرجها غير محصور في مخرج معيّن؛ إذ بعضها يخرج من الحلق وبعضها من اللسان وبعضها من الشفتين، بخلاف الإظهار الحلقّي فإنّه نُسبَ إلى مخرج الحروف التي تظهر عندها النون والتنوين، وذلك لانحصارها في مخرج محدّد وهو الحلق»⁽²⁾. وتكون أشدّ حالات الإظهار للميم الساكنة عند "الواو" و"الفاء"، وذلك: «لاتّحاد مخرج الميم مع مخرج الواو، وقربه من مخرج الفاء»⁽³⁾.

ملاحظة هامة:

يمكن القول: إنّ الميم الساكنة ليس لها حكم مستقلّ إلّا إذا وقع بعدها حرف "الباء"، وفيما عدا ذلك فلا فرق بينها وبين غيرها من الحروف⁽⁴⁾.

ونختتم أحكام الميم الساكنة بحكم "النون" و"الميم" المشدّتين، يقول "ابن جزري" في باب "النون" و"الميم" المشدّتين، وبيان "أحكام الميم الساكنة" كما يلي⁽⁵⁾:

وَأَظْهَرُ الْعُنَّةِ مِنْ نُونٍ وَمِنْ	مِيمٍ إِذَا مَا شُدُّدًا، وَأَخْفَيْنِ
الْمِيمِ إِنْ تَسَكَّنُ بِعُنَّةٍ لَدَى	بَاءٍ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَا
وَأَظْهَرْنَهَا عِنْدَ بَاقِي الْأَحْرُفِ	وَأَحْذَرُ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي

(1) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام تجويد القرآن، ص 80.

(*) - الميم الساكنة خيشومية المخرج عند علماء الدرس الصوتي، في حين اعتبرها علماء التجويد شفوية.

(2) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، صص 190، 191.

(3) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص 28.

(4) - عبد الكريم مقيدش: مذكّرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 71.

(5) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص 7.

وعليه يجب إظهار الغنة إذا كانت "الميم" أو "النون" مشدّتين، سواء وقعتا في كلمة أو في كلمتين.

3- البيان الوصفي للأصوات الصامتة في العربية

فيما يلي بيان وصفي لطبيعة الصوامت العربية، وعددها ثمانية وعشرون صوتا، تتوزّع وفق هيئة مخارجها النطقية العشرة كما توصّل إلى ذلك الدرس الصوتي الحديث.

1- ألقاب الحروف

أولا: الأصوات الشفوية

1 - الباء: صوت شفوي، انفجاري، مجهور ومرقّق، عند النطق به يتمّ غلق الشفتين غلقا تاما، ممّا يؤدّي إلى انحباس الهواء الخارج من الرئتين خلفهما ثمّ يفتح فتحة فجائيا، فيخرج الهواء الذي كان محبوسا مندفعا محدثا انفجارا⁽¹⁾.

2 - الميم: عند النطق به تنطبق الشفتان بشكل تام بوجه التيار الهوائي المندفع من الرئتين، حيث يحبس في موضع من الفم خلف الشفتين، ويُخفض الحنك اللين فيأخذ الهواء مساره عن طريق الأنف، وفي الزمن ذاته تهتزّ الأوتار الصوتية لتمنحه صفة الجهر، بينما يبقى اللسان في جانب الحياد، وتوصف الميم بأنّها من الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرخاوة⁽²⁾.

إذن فصوت "الميم" صوت صامت شفوي متوسط مجهور أنفي (أغن) منفتح.

3 - الواو: هو صوت صامت وصائت؛ فالصامت يرتفع فيه أقصى اللسان نحو سقف الحنك ارتفاعا عاليا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك وإحداث نوع من الحفيف، أمّا الصائت فيخرج بارتفاع أقصى اللسان نحو السقف بدرجة أقل من التي كان عليها في الواو الصامتة، فلا يحدث احتكاك بل يمرّ الهواء دون احتكاك مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية، ويرجع ذلك إلى إشباع المدّ في الصائت على عكس الصامت، والصائت ساكن والصامت متحرك وساكن⁽³⁾.

ثانيا: الأصوات الشفوية الأسنانية:

- الفاء: صوت رخو مهموس مرقّق، يُنطق بأن تتّصل الشقّة السفلى بالأسنان اتصالا يسمح للهواء أن يمرّ بينهما فيحتكّ بهما، مع رفع مؤخر الطبق لسدّ التجويف الأنفي، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية⁽⁴⁾.

ثالثا: الأصوات الأسنانية:

(1) - خالد توكال مرسى: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ / 2008م، ص42.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص157.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص65.

(4) - المرجع نفسه، ص66.

1 - **الثاء**: صوت مّا بين الأسنان، احتكاكي، مهموس، مرقّق، عند النطق به يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيّق، وهو ما بين الأسنان فيؤدي خروج الهواء من هذا المضيق مندفعاً إلى حدوث احتكاك⁽¹⁾.

2 - **الذال**: صوت رخو مجهور مرقّق، يتمّ نطقه بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الثاء، والفرق بين الذال والثاء، أنّ الأوّل مجهور، والآخر مهموس، فالذال نظير الثاء المجهور، فلو أُجهرَ بالثاء تحولت ذالا⁽²⁾.

3 - **الطاء**: صوت رخو مجهور مفخّم (مطبق)، يُنطق بالطريقة نفسها التي ينطق بها الذال، مع اختلاف في وضع اللسان؛ فمؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الطاء، ولا ترتفع مع الذال، ولولا الإطباق في الطاء لكانت ذالا⁽³⁾.

رابعا: الأصوات الأسنانية اللثوية:

1 - **الذال**: يتمّ نطقه بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللين، فلا يمرّ الهواء إلى الأنف ويضغط الهواء مدّة من الزمن، ثمّ ينفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا مع تضيق الأوتار الصوتية تضيقا يؤدي إلى اهتزاز هذه الأوتار عند مرور الهواء بها⁽⁴⁾.

إذن فصوت "الذال" صامت أسناني لثوي مجهور انفجاري منفتح.

2 - **الثاء**: يتكون هذا الصوت حين يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدّم اللثة، حيث يأخذ الهواء مجراه من الرئتين عبر الحنجرة، دون أن تتذبذب الأوتار الصوتية، فينجس عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، وحين يتمّ الانفصال المفاجئ تسمع بنية هذا الصوت، والثاء هو النظير المهموس لصوت الدال المجهور⁽⁵⁾. وعليه فإنّ "الثاء" صوت صامت أسناني لثوي مهموس انفجاري منفتح.

3 - **الطاء**: يُنطق بنفس الطريقة التي يُنطق بها صوت الثاء، مع فارق واحد وهو أنّ مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق، وتقريبه من الجدار الخلفي للحلق أثناء النطق بالطاء؛ أي أنّ الطاء صوت مفخّم (مطبق)، والثاء صوت مرقّق (منفتح)⁽⁶⁾. إذن فصوت "الطاء" صامت، أسناني لثوي، مهموس، انفجاري ومطبق.

4 - **السين**: يُنطق بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة، بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلا جدا، مع خفض مؤخر اللسان وفتح الأوتار الصوتية، فلا تحتزّ عند مرور الهواء بها⁽¹⁾.

(1) - خالد توكال مرسي: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، ص44.

(2) - محمود عكاشة: المرجع السابق، ص س.

(3) - المرجع نفسه، ص67.

(4) - حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/ 1999م، ص27.

(5) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص161.

(6) - حازم علي كمال الدّين: المرجع السابق، ص28.

فالسین صوت صامت، أسناني لثوي، مهموس، احتكاكي، منفتح.

5 - الزاي: صوت رخو مجهور يناظر صوت السين، فلا فرق بين الزاي والسين إلا في أنّ الزاي صوت مجهور والسين صوت مهموس؛ فللنطق بالزاي يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مساره من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان (مشاركاً مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثنايا السفلى أو العليا⁽²⁾.

6 - الصاد: صوت رخو مهموس مفخم (مطبق)، نظير السين المرقق (المنفتح)، وينطق مثله مع فارق واحد هو: أنّ مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق في نطقه⁽³⁾.

7 - الضاد: صوت شديد مجهور مفخم (مطبق)، ينطق كنطق الدال مع فارق واحد، وهو: ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق بصوت الضاد، فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال⁽⁴⁾.

ويصفها "المبرد" وصفا لا يبتعد فيه عن وصف "سيبويه" و"ابن جني" السابق الذكر فيقول: «والضاد مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»⁽⁵⁾.

خامسا: الأصوات اللثوية:

1 - اللام: صوت لثوي جانبي مجهور منفتح، يتمّ نطقه بأن يتّصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع فيسدّ المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق مع حدوثذبذبة في الوترين الصوتيين⁽⁶⁾.

2 - الراء: يتكوّن هذا الصوت بأن تتوالى ضربات اللسان تواليا وتتابعا سريعا على اللثة، وذلك بأن يكون طرف اللسان ملاصقا للثنايا العليا، فيضغط من الأمام بالمجرى الهوائي، وبفضل مرونة هذا العضو يرجع اللسان إلى وضعه الأول، وتكرّر الحركة نفسها أربع أو خمس مرّات متتالية بالنسبة إلى الراء القويّة، ويرافق نطق الصامت المكرّر ذبذبة في الأوتار الصوتية، فهو صوت صامت مجهور لثوي مكرّر⁽⁷⁾.

(1) - حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، صص 28، 29.

(2) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 68.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 69.

(4) - المرجع نفسه، ص 68.

(5) - المبرد: المقتضب، ج 1، ص 329.

(6) - سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 312.

(7) - هيام كريدة: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، دون دار النشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1429هـ/2008م، ص 140.

3 - النون: يعتمد طرف اللسان - أثناء النطق بهذا الصوت - على أصول الأسنان العليا مع اللثة، ويخفّض الحنك اللين يتمكّن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف، وتتذبذب الطيَّتان (الوتران) الصوتيان حال النطق به، فالنون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور⁽¹⁾.

سادسا: الأصوات الغارية (الطبق الصلب/ وسط الحنك):

- 1 - الياء: صوت صامت وصائت مثل الواو، والصامت صوت مجهور غاري يخرج من احتكاك الهواء بالمر الموجود بين وسط أو مقدّم اللسان^(*) وبين الغار أثناء الخروج، ويصاحب هذا انفتاح الفك السفلي فيختفي الاحتكاك في نهايته، ويوجد شبه كبير بينه وبين صوت الكسرة الخالصة⁽²⁾.
- 2 - الجيم: يتكوّن هذا الصوت بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يتّخذ مساره عبر الحلق والتجويف الفميّ حتى يصل إلى نقطة الإنتاج (المخرج)، وهي التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، ومعه ينحبس التيار الهوائي، وعند انفصال العضوين يؤلّد هذا الصوت الانفجاري، ويوصف هذا الصوت بقلّة شدّته للانفصال البطيء لعضوي الاتصال⁽³⁾. فالجيم إذن صامت غاري، مجهور، مركب انسدادى (بين الشديد والرخو) منفتح.
- 3 - الشين: يُنطق برفع مقدّمة اللسان تجاه الغار، ورفع الطبق ليسدّ المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق، مع انفتاح الأوتار الصوتية ممّا يجعلها لا تهتزّ عند مرور الهواء بها⁽⁴⁾. فهو بهذا صوت صامت غاري احتكاكي مهموس منفتح.

سابعا: الأصوات الطبقيّة (الطبق اللين):

- 1 - الكاف: صوت شديد مهموس مرقق، يتمّ نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإصاقه به وإصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسدّ المجرى الأنفي ولا تهتزّ الأوتار الصوتية⁽⁵⁾.
- 2 - الغين: صوت من أقصى الحنك، احتكاكي مجهور، شبه مفخّم (مثل الخاء)، فعند النطق بصوت الغين يحدث ما حدث عند النطق بصوت الخاء، فيرتفع اللسان تجاه أقصى الحنك، بحيث يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور عبر منفذ ضيق مندفعاً محدثاً احتكاكاً⁽⁶⁾.

(1) - نجاة على: فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق، تقدم: مختار السويقي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 2003م، ص112.

(*) - يوجد فرق بين طرف اللسان ومقدّمه ومؤخره، الأول هو الجزء المستدق المذنب في أول اللسان، يليه مقدّم اللسان، ثمّ مؤخره.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص75.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص177.

(4) - حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، ص31.

(5) - محمود عكاشة: المرجع السابق، صص75، 76.

(6) - خالد توكال مرسى: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، ص45.

3 - الخاء: ويُنطق بنفس الطريقة التي يُنطق بها صوت الغين، مع فارق واحد وهو أنّ الأوتار الصوتية تكون في حالة انفتاح، فلا يحدث لها اهتزاز عند مرور الهواء بها، وذلك عند النطق بصوت الخاء؛ أي أنّ صوت الخاء صوت مهموس، وصوت الغين صوت مجهور⁽¹⁾.

إذن فالحاء صامت طبقي مهموس احتكاكي منفتح، نظير الغين المجهور.

ثامنا: الأصوات اللهوية:

- القاف: يتمّ نطقها بأن يرتفع مؤخر اللسان فيلتصق باللهة والجدار الخلفي للحلق، ويسدّ بذلك مجرى الهواء، ثمّ ما يلبث السدّ أن يزول فجأة، فيخرج الصوت منفجرا ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبقة فيلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسدّ التجويف الأنفي ويخرج الهواء من الفم⁽²⁾.

فالقاف باختصار صامت لهوي انفجاري مهموس منفتح.

تاسعا: الأصوات الحلقية:

1 - العين: صوت مجهور رخو (احتكاكي) منفتح، يتمّ نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، وتتوّه لسان المزمار إلى الخلف حتّى ليكاد يتّصل بالحائط الخلفي للحلق، وفي الوقت نفسه يرتفع الطبقة ليسدّ المجرى الأنفي ويهتز الوتران الصوتيان⁽³⁾.

2 - الحاء: يُضَيّقُ المجرى الهوائي في الفراغ الحلقى عند النطق بالحاء، بحيث يُحدث مرور الهواء احتكاكا، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية في حال النطق به⁽⁴⁾.

فالحاء إذن صوت صامت حلقي مهموس احتكاكي منفتح، ونظيره المجهور هو صوت العين.

عاشرا: الأصوات الحنجرية:

1 - الهمزة: صوت حنجري شديد مهموس منفتح، غير أنّ بعض اللغويين رأوا أنّها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس، لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما فلا تسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق، إلّا حين تنفرج فتحة المزمار. ذلك الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة⁽⁵⁾.

فهمة القطع بهذا صوت صامت لا هي بالمجهورة، ولا هي بالمهموسة؛ ذلك أنّ الوترين الصوتيين حال النطق بها لا هما في حالة القارب، ولا هما في حالة التباعد، وهو صوت حنجري انفجاري منفتح.

(1) - حازم علي كمال الدّين: المرجع السابق، ص33.

(2) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2005م ص82.

(3) - سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص165.

(4) - كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2003م، ص214.

(5) - صالح سليم عبد القادر الفاخرى: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط، 2007م، ص142.

2 - الهاء: تتكوّن الهاء العربية عندما يتّخذ الفم الوضع الصالح لنطق مصوّت كالفتحة، أي الصائت المفتوح، ويمرّ الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين محدثا صوتا احتكاكيا، يُرْفَع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، إذن فهو صامت حنجري احتكاكي مهموس⁽¹⁾.

ملاحظة:

إنّ مخرج "الميم" هو الشفتان، أمّا مخرج "النون" فهو اللثة مع طرف اللسان، هذا حال تحرّكهما بإحدى الحركات الثلاث، أمّا في حالة سكوتهما فيكون مخرجهما هو الأنف (الخيšوم)، وذلك بأن تنطبق الشفتان أثناء النطق بالميم انطباقا تاما، فلا يسمحان بخروج الهواء الصاعد من الرئتين عبر الفم، بل عبر التحوييف الأنفي وذلك بخفض الحنك اللين، أمّا أثناء النطق بالنون الساكنة فيتمّ انطباق اللسان واللثة فلا يسمحان بمرور الهواء عبرهما، ثمّ ينخفض الحنك اللين فيعبر الهواء عبر الممر الأنفي.

جدول تفصيلي عن صفات الحروف

يمكن تلخيص صفات الصوامت العربية من حيث قوتها وضعفها في الجدول التالي⁽²⁾:

الصفات	صفات الحرف القويّة																صفات الحرف المتوسطة				صفات الحرف الضعيفة			
	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ
1	همزة	أ	أ																					
2	باء	ب	ب																					
3	تاء		ت																					
4	ثاء																							
5	جيم	ج	ج																					
6	حاء																							
7	خاء																							
8	دال	د	د																					
9	ذال		ذ																					
10	راء																							
11	زاي	ز																						
12	سين																							
13	شين																							
14	صاد																							
15	ضاد	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض
16	طاء	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
17	ظاء	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ

(1) - هيام كريدية: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، ص132.

(2) - عماد علي جمعة: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، ص18.

باستخدام الاصطلاحين (حركة) و(سكون) ودلّوا على الحركة بشرطة، وعلى السكون بدائرة⁽¹⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ كل ما من شأنه أن يشكّل خفقة أو نبضة صدرية يسمى مقطعا.

ويوضح "غانم قدوري الحمد" التعريف السابق لـ "تمام حسّان" بمثالين فيقول: «...ويستطيع الدارس أن يضع كفه على أسفل صدره وينطق بكلمة (كَتَبَ) نطقا متأنيا هكذا [ك ت ب]، وسوف يحسّ بضغطات الحجاب الحاجز على الصدر، وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمة الثلاث، وكذا لو نطق عبارة (لَمْ يَكْتُبْ)، فإنّه يستطيع أن يميّز ثلاث مقاطع أيضا [لَمْ / يَكْتُبْ / ثَبْ]، وأن يحسّ بالخفقات أو الضغطات الصدرية الثلاث وهكذا دائما»⁽²⁾.

وإلى هذا تماما ذهب "أحمد كشك" حينما يعرف المقطع بقوله «هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلّم، فكلمةٌ مثل: "كتب" المكونة من ثلاث أحرف يمكن نطقها على ثلاث وحدات: الكاف مفتوحة ثمّ التاء مفتوحة، ثمّ الياء مفتوحة أيضا»⁽³⁾.

إذن فواضح من خلال هذا الكلام أنّ المقطع الصوتي بالنظر إليه من الناحية النطقية الفسيولوجية يشكّل نبضة صدرية واحدة وأنّ تعدد هذه النبضات يعني بالضرورة تعدد المقاطع الصوتية، ويمكن أن نلمس هذا أيضا في كلام "عبد الصبور شاهين" أثناء حديثه عن المقطع والذي يذهب فيه مذهب "تمام حسّان" فهو عنده عبارة عن «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقلّ الأحوال من صامت وحركة (ص+ح)»⁽⁴⁾.

ب/ من الناحية الأكوستيكية (الفيزيائية):

يعرّف "ماريو باي" المقطع بأنّه: «عبارة عن قمة إسماع غالبا ما تكون صوت علّة، مضاف إليها أصوات أخرى عادة، ولكن ليس حتما تسبق القمة أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها، وتوجد لغات كثيرة يمكن فيها للام والراء والميم والنون، وحتى السين والزاي أن تقطع قمة إسماع مكان العلّة، وتكون محور المقطع»⁽⁵⁾.

ويضيف "عصام نور الدّين" تعريفا آخر للمقطع من حيث الإدراك والتلقي قائلا: «هو مجموعة صوتية تحوي قمة الوضوح السمعي، وتقع بين حدّين أضعف من حيث الإسماع؛ أي أنّ المقطع من هذا المنظار هو المدى الذي يقع بين حدّين من الإسماع»⁽¹⁾.

(1) - تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1394هـ/1974م، صص 138، 139.

(2) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 190.

(3) - أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرقي ونحوي ودلالي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2006م ص23.

(4) - عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط 1400هـ/1980م، ص 38.

(5) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 96.

وفي الحقيقة إنّ هذين التعريفين لم يعتمدا في تحديد مفهوم المقطع على الجانب الأكوستيكي فحسب، بل اعتمدا كذلك على الجانب السمعي الإدراكي، فكلّ ما من شأنه أن يمثّل قَمّة الوضوح السمعي فهو **مقطع صوتي**، وإنّما يكتسب هذه الخاصية من خلال اشتماله على الصوائت ذات البروز السمعي الواضح، أمّا الاعتماد على الجانب الأكوستيكي أو كما يسمى الفيزيائي، فيُقصدُ به ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته وذبذباته في الهواء إلى أذن السامع وأثر ذلك الانتقال من الناحية السمعية والإدراكية.

ج/ من الناحية الوظيفية (الفونولوجية):

يذهب التعريف الوظيفي للمقطع إلى وصفه «كأصغر وحدة في تركيب الكلمة، من حيث تميّزه في كلّ لغة، ويتكوّن المقطع في أبسط أشكاله من صوتين الأول: صامت، والثاني: صائت»⁽²⁾.

وهذا التعريف ينظر للمقطع من خلال الوظيفة الدلالية التي يؤديها، فهو الوحدة اللغوية التي يقوم فيها "الفونيم" بأداء وظيفته داخلها، فالباء مثلا في كلمة (كَتَبَ)، تشكّل مقطعا صوتيا في أبسط أشكاله، لأنّه يتكون من صامت فصائت، وكلاهما فونيم يؤدي استبدالهما معا أو استبدال أحدهما بـمثله (الصامت بصامت آخر، والصائت بصائت آخر) إلى تغيير في المعنى، فكَتَبَ غير كَتَمَ، وهذا التغيير في المعنى ناتج أساسا عن تغيير فونيم "الباء" دون حركته في المقطع الثالث، بفونيم آخر وهو "الميم" المتحركة بحركة الفونيم الأول، إذن فالمعنى هنا تغيير نتيجة تغيير الصامت، ومثال تغيير المعنى نتيجة تغيير الصائت، كلمة (بُرْ) التي تطلق على القمح، فهذه الكلمة تتكون من مقطع واحد طويل ومغلق، والذي بدوره يتشكل من ثلاث فونيمات، واستبدال حركة الباء بحركة أخرى يؤدي ذلك إلى تغيير في المعنى، فبُرْ يختلف في المعنى عن "بَر" (الطاعة وعمل الخير)، كما يختلف بدوره عن كلمة "بَرْ" التي تحيل على معنى اليابسة، وهكذا مع باقي الكلمات الأخرى.

وجاء في التعريف الوظيفي السابق للمقطع أنّ المقطع - كما سيتم الإشارة لاحقا - يتكون في أبسط أشكاله من صوتين: الأول "صامت" والآخر "صائت"، وهذا يعني أنّ المقطع الصوتي لا يبدأ بالحركات، وإلى شيء من هذا القبيل يذهب "رمضان عبد التواب" حيث نجده يقول: «المقطع الصوتي هو كمية تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية الفصحى مثلا لا يجوز الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كلّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة»⁽³⁾.

ويقدم "غانم قدوري الحمد" تعريفا جامعا مانعا للمقطع يجمع فيه كلّ الجوانب السابقة الذكر والتي على أساسها يتمّ تحديد مفهومه، يقول فيه: «المقطع مجموعة أصوات تُنتجُ بضغطة صدرية واحدة، تبدأ بصوت جامد يتبعه

(1) - عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، ص 190.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص 71.

(3) - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 101.

صوت ذائب (قصير أو طويل)، وقد يأتي متبوعاً بصوت جامد أو اثنين، ويكون الصوت الذائب فيه قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع»⁽¹⁾.

وفي هذا التعريف إشارة واضحة إلى الجوانب الثلاثة المعتمدة في تحديد مفهوم المقطع وهي: الجانب النطقي فالوظيفي ثم السمعي بهذا الترتيب، كما أشار التعريف أيضاً وبوضوح إلى أن "قمة الإسماع والبروز" إنما تتحكم فيها الأصوات الذائبة؛ أي الصوائت سواء أكانت قصيرة أم طويلة، أكثر من غيرها من الأصوات الجامدة؛ أي الصوامت التي تدخل في تشكيل المقاطع الصوتية كوحدات مساعدة.

- مكونات المقطع

يُبنى المقطع في اللغة العربية على العناصر المتناظرة التي تحتويها بنيته، وتتألف النظائر المتتابعة في حدود المقطع من: «الفونيمات اللغوية المفردة، ولكلّ مقطع جزء رئيسي يكون بارزاً وظاهراً، ويطلق على هذا الجزء نواة المقطع، وتسمى العناصر الباقية العناصر المساعدة، وتقسّم الفونيمات المفردة في العربية إلى فونيمات مركزية وغير مركزية، وتشكّل الحركات القصيرة الثلاث مع نظائرها الطويلة نواة المقطع دائماً، وتمثّل دائماً جميع السواكن والصوتان الجهوران "الياء والواو" الفونيمات المساعدة في بنية المقطع»⁽²⁾.

وإلى شيء من هذا تذهب "فضيلة مسعودي" حيث تحدد مكونات المقطع فتقول: «المقطع وحدة صوتية مفردة أكبر من الصوت، مكونة من مادة أولية هي الأصوات الواقعة أثناء عملية الكلام، التي تتم بطريقة الانفتاح والانغلاق»⁽³⁾.

يتبين من خلال ما سبق ذكره أنّ المقطع الصوتي في العربية يتكون من عنصرين اثنين هما: عنصر رئيسي يشمل "الصوائت العربية"، والتي تشكّل بدورها قمة البروز السمعي كما أشار "غانم قدوري الحمد" سابقاً في تعريفه للمقطع. وهذه الصوائت هي نواة المقطع ومركزه وأساسه، وعنصر آخر مساعد ويشمل جميع الصوامت العربية، دون أن يعني هذا الكلام أنّه يمكن الاستغناء عنها؛ فلا وجود لمقطع خال من صامت، كما لا وجود لمقطع خال من حركة، غير أنّ الصوائت هي غالباً ما يقع عليها درجة الارتكاز وهذا ما يعرف في اصطلاح علماء الأصوات بـ: "النبر".

والمقطع بهذا المعنى أكبر من الصوت المفرد، كما أنّ المقاطع إمّا أن تتكوّن بطريقة الانفتاح الذي يفتح المجال لأن يكون المقطع أطول، أو طريقة الانغلاق والذي من شأنها أن تحدّ مجال المقطع، ويمكن أن يفهم من هذا الكلام أن المقطع على أنواع متعددة: مفتوح ومغلق، طويل وقصير ومتوسط... ويُقسّم "إبراهيم أنيس" المقطع باعتبار نهايته من حيث التحريك والتسكين إلى

(1) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، صص 193، 194.

(2) - سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملا، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، ط1 1403هـ/ 1983م، ص 131.

(3) - فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، ص 31.

قسمين هما: «المقطع المتحرك، والمقطع الساكن؛ فالأول هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن»⁽¹⁾.

وقبل الخوض في أشكال المقطع لا بدّ أولاً من الوقوف على العلاقة الموجودة بين المقاطع الصوتية وبين الكلمة، بحيث يعدّ المقطع الصوتي «وحدة صوتية أصغر من الكلمة؛ أي أنّ الكلمة يقوم هيكلها على المقطع الصوتي الذي يستمدّ كيانه من الصوامت "The consonants" والحركات "The vowels"»⁽²⁾.

إذن فالعلاقة بين المقطع وبين الكلمة هي علاقة جزء من كل، وقد يشكل المقطع الواحد كلمة مفردة، ولا يمكن للكلمة أن تكون خالية من المقاطع؛ بل أنّ عناصر المقطع هي نفسها العناصر التي تتدخل في بناء الكلمة العربية، إذن فالعلاقة بينهما متكاملة.

- أشكال المقطع في اللغة العربية

تنقسم المقاطع في اللغة العربية إلى قسمين اثنين هما⁽³⁾:

1 - المقطع القصير: وهو الذي يبدأ بصوت صامت تتلوه حركة قصيرة، وهو أصغر صورة للمقطع العربي، ولا يكون هذا النوع من المقاطع إلا مفتوحاً.

2 - المقطع الطويل: وهو المقطع الذي يتكون من صوت صامت تتلوه حركة طويلة، أو صامت تتلوه حركة قصيرة يتبعها صامت مغلق، ويكون هذا النوع مفتوحاً ومغلقاً، ويمكن إطالة المقطع الطويل المفتوح عن طريق زيادته بصامت فيصبح المقطع مديداً مغلقاً، كما يمكن إطالة المقطع الطويل المغلق عن طريق زيادته بصامت، فيصبح المقطع زائداً الطول مغلقاً بصامتين. بناءً على هذا الكلام يمكن القول بأنّ اللغة العربية تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع وهي⁽⁴⁾:

1 - المقطع القصير المفتوح: ص ح ، مثل: كَ + تَ + بَ.

2 - المقطع الطويل المفتوح: ص ح ح ، مثل: كَا

والنوعان السابقان لا يكونان إلاً مفتوحين.

3 - المقطع الطويل المغلق: ص ح ص ، مثل: تَبْ

4 - المقطع المديد المغلق: ص ح ح ص ، مثل: قَالْ عند تسكين الآخر ، أو كما في ذَابَةٌ عند الوقف.

5 - المقطع الزائد الطويل: ص ح ص ص ، وذلك في مثل: مِصْرٌ، و عَصْرٌ، عند تسكين الآخر، أو عند الوقف

(1) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 87.

(2) - حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، ص 87.

(3) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص 213.

(4) - المرجع نفسه، ص 214.

على الآخر.

ملاحظات:

1 - اتفق الدارسون قديمهم ومحدثهم على رمز (ص) للصامت (أو الصوت الساكن)، ولكنهم اختلفوا في الترميز للحركة طويلة أكانت أم قصيرة، فمنهم من أعطاهما رمز (ح)، ومنهم من أعطاهما رمز (ع)، فضلا عن اختلافهم في الاصطلاح عن الصامت بهذا الاسم وكذا بالحيس، وعن الصائت بهذا الاسم وكذا الطليق.

2 - يسمي بعض الباحثين "المقطع الطويل المفتوح" و"المقطع الطويل المغلق" بالمقطع المتوسط؛ الأول مفتوح والآخر مغلق، أما "المقطع المديد المغلق" و"المقطع الزائد الطويل" فيسمونه مقطعا طويلا، ومن هؤلاء: "تمام حستان" و"كمال بشر" وغيرهما، مما يعني أنّ المقطع عندهما يكون إما قصيرا أو متوسطا في شكلين أو طويلا في شكلين أيضا.

3 - يعلق "محمد الأنطاكي" على الأشكال الأربعة الأولى للمقطع الصوتي في اللغة العربية السابقة الذكر فيقول: «والأشكال الثلاثة الأولى شائعة في العربية كثيرا، وتقع في صدور الكلمات وأحشائها وأعجازها على حدّ سواء أما الشكل الرابع فقليل، ولا يقع إلا في الأعجاز حين الوقف بالسكون (كِتَابٌ)، أما وجوده في الحشو فهذا نادر جدا، ولا يكون ذلك إلا في حالة الإدغام، نحو: (شَابَةٌ = شَابٌ، بَةٌ)»⁽¹⁾، ويضيف قائلا عن الشكل الخامس: «أما الشكل الخامس فلا يقع إلا في الأعجاز حين الوقف بالسكون، مثل: هَزَبٌ = هَرٌ، زَبَرٌ، وعلة امتناع وجوده في الصدور والأحشاء هي كراهية العربية لتوالي ثلاثة حبيسات ليس بينهما طليق، وهو ما يعرف اليوم بالالتقاء الساكنين...»⁽²⁾.

- الخصائص العامة للمقطع في العربية

يتسم المقطع الصوتي في اللغة العربية بجملة من المميزات العامة يمكن حصر أهمها في النقاط التالية⁽³⁾:

1 - أنه يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداها حركة بالضرورة؛ فلا وجود لمقطع خال من الحركة، وهذا يعني أنّ المقطع في العربية لا يتكون من الصوامت فقط، بل يتكون من الصوامت والحركات (الصوائت).

2 - أنّ المقطع في العربية لا يبدأ بصوتين صامتين، كما أنّه لا يبدأ بحركة؛ أي أنّه لا يبدأ بحرف (صامت) ولا تسبق الحركة فيه الحرف.

3 - لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلا في حال الوقف؛ هذا يعني أن الحالة الاستثنائية لتوالي صامتان في المقطع العربي هي حالة الوقف.

4 - يتكون أطول مقطع في العربية من أربع وحدات (فونيمات).

(1) - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1، ص48.

(2) - المرجع نفسه، ص49.

(3) - مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2013م، صص131، 132.

5 - لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق عن أربعة مقاطع إلا نادرا.

6 - يمكن أن يتوالى في الكلمة العربية المجردة مقطعان طويلان مفتوحان، ولكن لا يتوالى ثلاثة مقاطع طويلة.

7 - لا يُتبع المقطع الطويل المفتوح بصامت إلا حال الوقف أو الإدغام.

- أهمية دراسة المقطع وقيّمته

حدّد "حسام البهنساوي" أهمية دراسة المقطع في اللغة العربية والفائدة من ذلك، كما يلي⁽¹⁾:

1 - أنّ اللغة كلام، والمتكلّمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي: المقاطع، ولذا يقال: إنّه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة ولكي تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكّله الفونيمات، ولتصف الفونيمات أنت تدرس كيف تنظم نفسها في المقاطع.

2 - يساعد المقطع كثيرا في اتخاذ قرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو مجموعة صوتية تعدّ من الناحية الصوتية غامضة

3 - يعدّ المقطع هو مجال العمل بالنسبة للطرق الثلاثة الأكثر أهميّة، التي تعدل أصوات الكلام وهي النبر (كلمة أو جملة)، الإطالة، صعود درجة الصوت وهبوطه.

4 - المقطع موجود أردنا أم لم نرد، فالمقاييس العروضية في بعض اللغات عروضية، كما أنّ بعض طرق الكتابة قد وضعت على أساس مقطعي.

5 - المقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية التي تشكّل كل منها من أصغر وحدة تسبقه، فالوحدة الصغرى هي الفونيم، أو يأتي المقطع المكون من فونيمات بترتيب معين، ثم تأتي مجموعة النغم.

6 - لقد أثبتت التسجيلات الصوتية أنّ المتحدثين الذين يتمهلون في كلامهم يظنون أنّهم يتكلمون في شكل أصوات منفصلة، لكنهم يتوهمون ذلك، لأنهم ينتجون بذلك مقاطع في واقع الأمر.

7 - المقطع يعدّ أكبر وحدة يمكننا الاحتياج إليها في شرح كيفية تجمع الفونيمات في اللغة، فإذا فحصنا تركيب مقطع مفرد، أمكننا أن نعتبر الوحدات الكبرى كتتابعات من المقاطع.

8 - الكلمة مصطلح له في المقام الأول مغزى نحوي، أما المصطلح الأساسي الفونولوجي الخاص لمجموعة من الصوامت والحركات لها مركز الوحدة فهو المقطع. والمقطع بهذا الاعتبار أصغر وحدة يمكن نطقها بنفسها.

9 - يعدّ المقطع أساسا لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة، فأحسن طريقة للتعودّ على النطق الصحيح للنغمات الصوتية وللوقفات الموجودة في لغة أجنبية هي نطق الكلمات، أو مجموعة الكلمات ببطء مقطعا مقطعا، مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع، وبالتدرّج يزيد المرء من سرعة نطق الحدث الكلامي، حتى يصل إلى السرعة العادية.

(1) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، صص 207، 208.